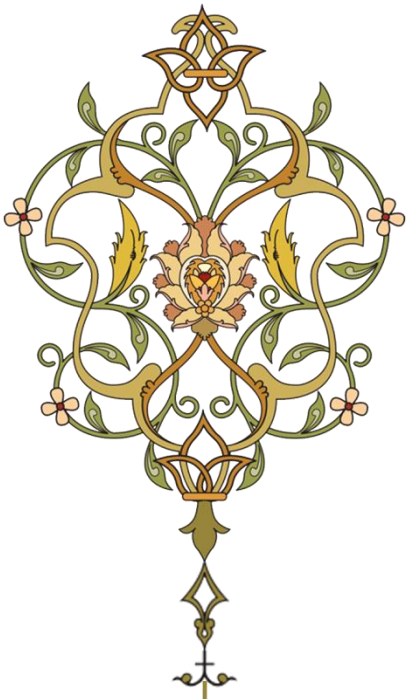

المدارس الدعوية بين الأصالة والمعاصرة

المدارس الدعوية بين الأصالة والمعاصرة
تأليف: أ.د. رعد حميد توفيق البياتي،
مكتب شمس الأندلس للطباعة والنشر،
الطبعة الأولى، بغداد، ٢٠١٩.
عدد صفحات الكتاب: ٨٧

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
(٤٣٥) لسنة ٢٠١٩
الإعداد الإلكتروني والتصميم والطباعة
في مكتب شمس الأندلس للطباعة الرقمية
والتصميم والنشر
بغداد/الأعظمية
هـ: ٠٧٧٠٤٥٧٧٠٧١
الترميز الدولي:
ISBN: 0000000000000

AL-ANDALUS SUN

جَمِيعُ الحُقُوق مَحْفُوظَةٌ للمؤلف

الطَّبعَـةُ الأَولَـى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

المدارس الدعوية

بين الأصالة والمعاصرة

إعداد

أ.د. رعد حميد توفيق البياتي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين وآله وصحبه اجمعين...وبعد

لكل امة منهجها واسلوبها الخاص في الاصلاح، يتقارب ويتناسب مع بنائها الديني والاجتماعي والحضاري فضلا عن البيئة التي يتواجد فيها، فمنهاج الدعوة الى الله واصلاح المجتمعات في الرؤية الاسلامية يختلف مع نظائره في الانساق الفكرية والفلسفية والحضارات والاديان التي انتشرت وسادت خارج اطار التوحيد ودين الاسلام.

فالدعوة الى الله ليس تغييرا جزئيا او سطحيا لعلاقاتنا مع المحيط بقدر ما هو تغيير شامل وعميق مع الله والوجود، تغييرا يبدا من الجذور ويمتد الى سائر مناحي الحياة،بل يتعداه الى اصلاح غير المسلمين وتصحيح مناهجهم الحياتية والعقدية، دعوة لاصلاح الانسان والعقيدة وصياغة علاقاته حسب الانماط الاسلامية، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

لقد حاولت في هذه الوريقات تقديم اهم وابرز المدارس الدعوية في تاريخنا الاسلامي بتعدد اشكالها ومشاربها وتوجهاتها بغض النظر عمن يؤديها، كونها مدارس اثرت وتؤثر ولا زالت في الواقع الاسلامي وهي معتمد الكثير من المربين والمصلحين.

مدخل تمهيدي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين...

ان الناظر في طبيعة ونشأة العلوم الإسلامية المتعددة يجدها ترجع إلى أحد أمور ثلاثة جاء بها هذا الإسلام، وهي:

١. المِلّة
٢. والشريعة
٣. والمنهج

التي يجمعها اصطلاح (دين) أو (إسلام).

وقد تعبَّد الله عز وجل عبادَه بهذه الأمور جميعاً، وبَيَّن أن الملة واحدة، والشرائع والمناهج متعددة، فقال سبحانه مبيناً وحدَة الملة:

وقال أيضاً:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾

كما قال الله تعالى مبيناً تعدُّدَ الشرائع والمناهج:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

ويكفي هنا أن نعلم بأن دراسة (الملة) أصبحت من اختصاص أقسام العقيدة في الجامعات الإسلامية اليوم، كما أن دراسة (الشريعة) أصبحت من اختصاص

أقسام الكتاب والسنة، وأقسام الفقه والأصول، وأصبحت دراسة (المنهج) من اختصاص أقسام الدعوة.

إن هذه الدراسات جميعها تمثل دراسة الدين الواحد الذي يشمل كلاً من الملة والشريعة والمنهج.

لهذا، كان أي فَصْلٍ كامل بين هذه الدراسات، أو العناية بواحدة منها على حساب الأخرى، يُعدَّ فصلاً بين أجزاء مترابطة، لا يصح الدين ولا يَكمُل ولا يَسْلَمُ إلا بها جميعاً.

فالداعية إلى الله يدعو إلى كلٍ من الملة والشريعة والمنهج، والدارس للملة والشريعة لابد له من معرفة المنهج والطريق الصحيح لذلك، فكل اختصاص من هذه الاختصاصات مفتقر إلى غيره، وإذا كان ثَمَّة من فرق، فإنما هو في نوعية التخصص من جهة، ومدى عناية أصحاب كل تخصص بتعميق وتأصيل بعض المواد العلمية المتعلقة بتخصصهم أكثر من بعض المواد الأخرى من جهة أخرى.

فإذا كانت أقسام العقيدة تُعنى أول ما تُعنى بدراسة العقيدة التي تتناول أصول الملة وفروعها، ودارسة الملل والنحل الأخرى، فإنه لا غنى لدارس العقيدة عن دراسة الأحكام الشرعية ومعرفتها، وعن بصيرةٍ بالمنهج والأسلوب الذي يدرس به هذه العقيدة ويدعو بها إليها، لتسلَمَ له عقيدتُه، ويَعلمَ كيف يدعو إليها ويعلمها ويطبقها في حياته... وإلا كانت دراسته نظريةً مجردة.

وإذا كانت أقسام القرآن والسنة، وأقسام الأصول والفقه، تُعنى أول ما تعنى بدراسة القرآن الكريم والحديث الشريف، وبدراسة أصول الفقه وأحكام الفقه، فإنه لا غنى لدارس هذه العلوم من معرفة صحيحة بالملة والعقيدة التي تُعدُّ أساساً لها، ومن بصيرة بالمنهج والأسلوب الذي يدرس به هذه الشرعية، ويدعو به إليها

ويعلمها للناس ويعمل على تطبيقها في حياتهم، وإلا كانت عبادته جافة، وأضحت دراسته للكتاب والسنة نظرية مجردة.

وإذا كانت أقسام الدعوة تُعنى أول ما تعنى بدراسة تاريخ الدعوة وأصولها، والتعرف على مناهجها وأساليبها ووسائلها وما إلى ذلك، فإنه لا غنى لدارس الدعوة من معرفة صحيحة بالملة والعقيدة، وإلمامٍ وافٍ بالأحكام الشرعية العملية، لتسلم له عقيدته وشريعتُه من جهة، ويكونَ على بصيرة بما يدعو إليه من جهة أخرى. وإلا كانت دعوته إلى ضلال، وعمله فيغير هدى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ ومن هنا يتبيَّنُ لنا: أن اختلاف الأقسام العلمية في ترتيب أولياتها، وفي تقديم مادة علمية على غيرها، إنما يعود إلى واقع تخصصها وطبيعة ميدانها فحسب، ولا صلة له بتفضيل علم على علم أو ترجيح تخصص على غيره، بل لابد لكل قسم من هذه الأقسام أن يُقَدَّم للدارسين فيه الحد الأدنى الكافي من العلوم الأخرى، وإن لم تكن من تخصصه في الأصل، ويمكنني أن أضرب مثلاً حسياً يبرز لنا صِلَةَ هذه الاختصاصات العلمية بعضها ببعض، ويكشف لنا عن مدى الترابط بينهما:

فإن مثل الملة والشريعة والمنهج، مثلُ الماء الصافي الذي ينبع من مكان معين، ثم يمشي في جداول وسواقي يروي الأرض، وينبت الزرع، ويستقي منه الناس.

فأصل النبع ومكانه يمثل (المِلَّة الواحة الثابتة)، والماءُ المتدفق الجاري الذي يروي الأرض وينبت الزرع ويستقي منه الناس، يمثل (الشريعة الكاملة المستمرة...) والجداولُ والسواقي المنتشرة هنا وهناك، والتي يجري الماء في إطارها، ويتمكن الناس بسببها من الاستفادة من الماء على وجه متكامل صحيح، تمثل المنهج الواضح.

فإن أي ضَعف أو ضمور في النبع ومصدر الماء، يؤثر تأثيراً كبيراً في كمية الماء الذي يصدر عنه، فيضعُف سَيرهُ في الجداول والسواقي، وتقلُّ فائدته وقد تصاب مناطق كثرة بسبب ذلك بالجفاف والجدب...

كما أن أي رافد غريب قد يَرفْد هذا النبع، يعكر من صَفْو الماء، ويخرجه عن طبيعته الأولى، وأي خَللٍ في الجداول والسواقي التي تشكل طريق هذا الماء، وقد يبعثر انتشاره، ويقلل من الاستفادة منه، كما قد يضر انتشاره حيث لا يراد انتشاره فيه، أو يتأخر وصوله إلى المكان الذي ينتظر بسبب ذلك، وهكذا...

فإنه بقدر حرصنا ومحافظتنا على سلامة المنبع وبقائه، وسلامة الجداول والسواقي وكثرتها، يمكننا أن نحافظ على صفاء وقوة تدفّقه، وعظم آثاره وفوائده، وبقدر إهمالنا لذلك المنبع، أو غفلتنا عن تلك الجداول نُعاني من تكدُّر الماء وتغير طبيعته، وقلة تدفّقه وضعف أثره.

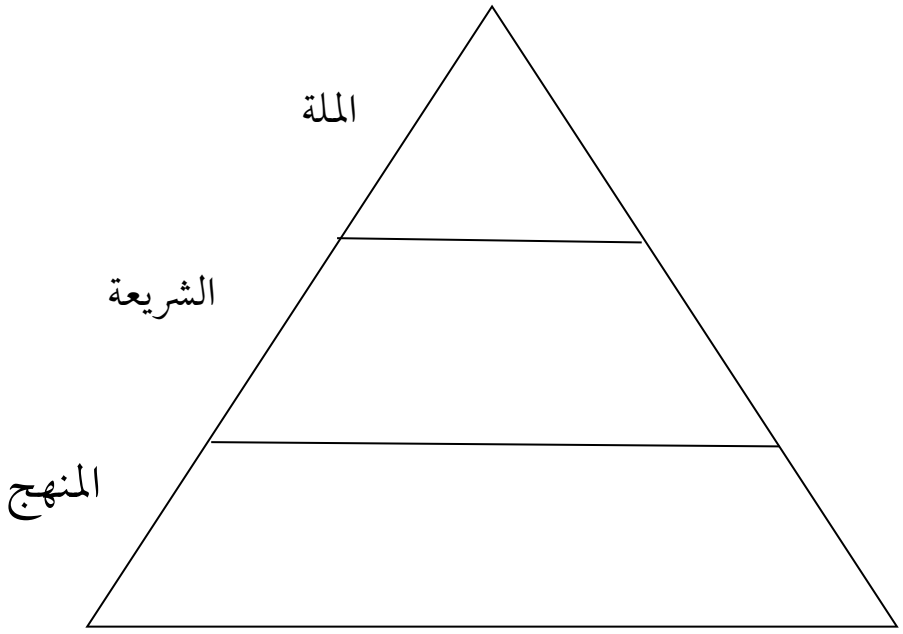

الدعوة

الدعوة لغة: مصدر للفعل الثلاثي دعا، تقول: دعا يدعو دعوة ودعاية، وهي مأخوذة من الدعاء وهو النداء لجمع الناس على أمر ما وحثهم على العمل به كما هي الدعوة الى قضية يراد اثباتها او الدفاع عنها حقا كانت ام باطلاً، فجاء استعماله بالحق كما في قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ وقول الرسول ﷺ في كتابه لهرقل: «ادعوك بدعاية الاسلام».

أما مجيء الدعوة في الباطل قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ ﴾، وقول النبي ﷺ: «مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ».

كما جمع الاستعمالين في قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ وقول الرسول ﷺ: «وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ».

ويظهر مما تقدم أن الدعوة في اللغة تأتي ويراد بها معان عدة منها.

١. النداء: وهي النداء للمشاركة في شيء، أو هي تجمع على شيء، يقال دعا فلان فلاناً إذا ناداه ومنه الدعوة للصلاة أي الدعوة إليها، وقد ذكر الله تعالى المعنى بقوله: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ﴾ ، ومنه ما جاء في الحديث «من قال حين يسمع النداء، اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة».

٢. البيان والتبليغ: جاء في القرآن الكريم: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ ، ومنه قوله تعالى:

﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾.

٣. السؤال والترجي: يقال الدعوة،أي: ابتهال إلى الله بالسؤال والرغبة فيما عنده من الخير، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ ، ومنه ما جاء في الحديث حينما سئل النبي ﷺ عن أول بدء أمره فقال: «دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام».

٤. التسمية: قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ ، يقال دعاه زيداً وبزيدٍ، أي سماه بهذا الاسم.

٥. الدعوة إلى الطعام، يقال كنا في دعوة فلان، ومدعاةِ فلان.

٦. الاستعانة: قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ ، أي استعينوا واستغيثوا به.

٧. العبادة قال تعالى: ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴾ ، أي اعبده.

٨. وتأتي يراد بها النسب كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ .

أي: انسبوهم لا بائهم، وقال تعالى: ﴿ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴾ ، أي: نسبوا.

١٠.الاستمالة: ومنه داعية اللبن، وهو ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده، وفي الحديث عن ضرار بن الأزور ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ بلقوح من أهلي فقال لي: «احلبها فذهبت لأجهدها فقال:لا تجهدها دع داعي اللبن»، أي: أبقِ شيئاً في الضرع، ولا تجهد في الحلب.

١١.الطلب: يقال دعا بالشيء طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء حثه على قصده، يقال: دعاه إلى الصلاة ودعاه إلى القتال، ودعاه إلى الدين وإلى المذهب، حثه على اعتقاده وساقه إليه.

وقيل تأتي بطلب جلب الناس إلى جهة أو توجه، وإنْ كان باطلاً ومكروهاً، ومن ذلك تعريف الدعاة بأنهم (قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة واحدهم داع)، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ ، ويقال: الدعوة إلى جلب الناس إلى قضية يراد إثباتها، أو الدفاع عنها سواء حق أو باطل، اما هنا فيشار إلى أن الدعوة الإسلامية تكون دائما بالحكمة.

والأصل في مفهوم الدعوة أنه يعتمد على البيان والكلام، كما ذكر صاحب مقاييس اللغة إذ قال:(دعو أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك)

الدعوة اصطلاحاً:

من المعلوم أن الرسالات السماوية السابقة قد مهدت لمجيء الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ من قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ من زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ الناس يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ له وَيَقُولُونَ هَلاَّ وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَةُ قال فَأَنَا اللَّبِنَةُ وأنا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»، ومهمة الدعوة هي عمل إعلامي بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فهي عمل إعلامي والإعلام كان ولا يزال أداة هذا الدين الجالب إليه، ودعامته الرئيسة في المجتمعات كلها.

لذلك فالدين الإسلامي دين دعوي والدعوة مورست بكافة أحوالها منذ القدم للتأثير في نفوس الآخرين لأهداف وغايات في نفس الداعية، أو لكسب دعم لمجموعة أو مؤسسة، وهذا الأمر أول من استخدمه من المسلمين هو الرسول ﷺ بصورة علنية.

فحينما تطلق الدعوة يراد بها: الحث على الدخول في الإسلام وتعلم تكاليفه، أي: الدخول إلى دين الإسلام وكما يفهم منها هي تبليغ الإسلام والترغيب فيه ودعوة الناس إليه، فقد عرفها كلا من علماء الشريعة وعلماء الاتصال بحسب مضمون الدعوة والهدف منها.

الدعوة حسب تعريف علماء الشريعة

لا شك في أن علماء الشريعة الإسلامية معظمهم متفقون على أنّ الدعوة بمفهومها العام: هي الحث على كسب ود غير المسلمين إلى الدخول في الإسلام، وهذا ما تعارف عليه علماء الشريعة والملاحظ على من عرف الدعوة انه عرفها وفهمها فهماً نلاحظ فيه أنها فُهمت فهماً سطحياً، ولم تستوعب الجوانب التي يمكن ربطها للوصول إلى تعريف علمي دقيق يعطي مفهوم أوضح للدعوة، فمزجوها بمفاهيم قيدت دورها ولم تطلق لها العنان لتستوعب كافة أوجهها المرادة منها.

فكلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على الدين(الإسلام)، وعلى عملية: نشره وتبليغه وبيانه للناس، وسياق إيرادها هو الذي يحدد المعنى المراد، أما تعريفات علماء الشريعة فكانت كالتالي:

عرفها ابن تيمية (رحمه الله) بأنها: الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاء عن الله من تصديق رسله وتوحيد العقيدة بالإيمان بالشهادتين وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وكذلك الدعوة إلى إيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه

والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره وتوحيد العبادة لله، وهذا التعريف ركز على محاولة فهم أركان الإسلام والإيمان بها وتطبيقها وممارستها حسب الشريعة الإسلامية، كما ركز على أن التوحيد الأصل الأول لهدف الدعوة، وهو نقطة التحول والأساس لغاية الدعوة، لذلك يكثر من الحث عليه والتمسك به.

كما ويُعرف الدعوة محمد سعيد رمضان البوطي فيقول: إن الدعوة هي دعوة الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله تعالى إلى البشر والتي تقوم بحسب وصفه على أساسين العقيدة والتشريع، وهذا هو تعريف الدعوة من منظور إسلامي بحت متجاوز دور الإعلام في الدعوة وغايات الدعوة الأخرى بعد الإيمان بالله وتصحيح العقيدة، فلا نستطيع الحكم على المجتمع الإسلامي البحت دون محاولة التعمق أكثر وجعل الدعوة تؤدي دور اتصالي بين الشعوب الإسلامية تنشر ثقافات البلدان في ما بينها.

اما التعريف الذي اراه الاقرب هو التعريف الذي يحوي اهم اسسها وهي التبليغ والتعليم والتطبيق، قاله البيانوني في كتابه المدخل في علم الدعوة: **تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة.**

ومما سبق من التعريفات ظهر أن الدعوة إلى الله ﷻ هي منهج الإسلام والدعوة إلى هذا المنهج: هي دعوة لتصحيح العقائد بنشر عقيدة الإسلام ومبادئه العظيمة وتعاليمه السامية، فمعظم ما تقدم يشير إلى أنّ الدعوة الإسلامية تعمل على نقل الناس من ظلام الكفر والعصيان إلى نور الإيمان والمحبة ومن ظلام الجاهلية إلى نور العلم والمعرفة وصلة الأرحام وعدم الركود والخمول، كما تعمل على تفهم جميع المعوقات وإزالتها من أجل الوصول إلى هدف أسمى وهو الهدف الذي جاءت إليه وهي: الهداية بفك رموز القرب من الله تعالى ومعرفته وسلوك طريق نبيه ﷺ الذي

وصف نفسه بقوله: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة»، فالداعية يسلك بالناس طريق الهداية ويتركهم عند باب الله ﷻ فيتجاوز بذلك جميع المعوقات التي تقف في طريقه

وخلاصة ما تقدم أن الدعوة الإسلامية تأتي بمعنى النشر والبلاغ والإقناع والدعاية وقد صارت مفهوماً بذاته، له موضوعه، وخصائصه، وأهدافه، ومفهوم الدعوة الإسلامية أصبح من الأشكال الاتصالية الأخرى، يفيدها ويفيد منها، ويشاركها في خدمة الدين برسم طريق منهجي يكفل له الانتشار والذيوع، كما فُتحت الأقسام الدراسية في كثير من جامعات المسلمين لتدريس هذا العلم(مدارس الدعوة) ومنح الدرجات العلمية المختلفة للمتخصصين فيها

وإذا نظرنا في تعريف علم الدعوة الذي عرفناه يمكننا ذكر **اهم جوانب عملية الدعوة والمؤثرات فيها**، وهي:

١- تاريخ الدعوة: وهو موضوع يتناول دراسة نشأة الدعوة وتطورها من زمنه صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، أو من زمن آدم -عليه السلام- إلى يومنا هذا-على اختلاف اصطلاحي في تحديد الزمن_.

٢- أصول الدعوة ومصادرها: وهو موضوع يتناول بيان أدلة الدعوة ومصادرها، الكتاب – السنة – الخلفاء الراشدون – الدعاة وتجارب الأمم عبر التاريخ

٣- مناهج الدعوة: وهي موضوع يتناول خطط الدعوة ونظمها المرسومة لها- وهو موضوع الدراسة-.

٤- أساليب الدعوة وهو موضوع يتناول بيان كيفية تطبيق مناهج الدعوة.

٥- عناصر الدعوة: بما يشمل: الداعية والمدعو والرسالة والوسيلة ورجع الصدى او التغذية الراجعة.

غاية الدعوة إلى الله تعالى:

أسمى غاية هي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، فضلا عن غايات فرعية تبين أهداف الدعوة إلى الله تعالى منها:

١-تحقيق العبودية لله عزو جل فما من رسول ولا نبي إلا ويكون أول ما يدعو إليه عبادة الله وحده لا شريك له وتحقيق ذلك.

٢-تحقيق السعادة في الدارين.

٣-التعريف بالإسلام تعريف ملائم أي شرح أصوله و تعاليمه وآدابه.

٤-إقامة الحجة فالدعاة إلى الله يقومون بتبليغ الدعوة إلى الناس عامة لكي لا يكون لهم حجة يوم القيامة.

٥-تعليم الناس أمور دينهم وما ينفعهم في دنياهم.

وسائل الدعوة

من البديهي أن من يملك وسائل الإعلام في هذا الزمن يملك زمام تفكير الشعوب، وتوجيههم ؛لان القوة هي من تملك زمام الشعوب الآن، فبعد أن تحول العالم إلى قرية صغيرة بفضل تطور وسائل الإعلام والاتصال، وبعد أن غزت عالمنا الإسلامي عبر هذه الوسائل أفكار وقيم مختلفة من كل أرجاء العالم، وصار هم هذه الوسائل: هو حسم المواقف والصراعات كُلٌ بحسب توجهه، ففي هذه الحالة وغيرها تبين خطر هذه الوسائل إذا احتكرها الغرب المعادي للإسلام وللقيم والتقاليد الإسلامية، ومن هذا المنطلق ظهرت أهمية وسائل الإعلام التي ضاعفت إيصال المعلومات إلى الشعوب بصورة مكثفة، كما ضاعفت آلات الثورة الصناعية الإنتاج في الأصعدة كافة، فكان نصيب العالم العربي والإسلامي أقل ما يمكن أن

يعتمد عليه الدعاة والإعلاميون لنشر ثقافة الإسلام بين أتباعه أو بين العالم الخارجي.

فكان دور الدعاة هتك أستار الجهل والتخلف والتعصب التي تحول بين الناس، وبين دينهم، كما يجاهدون على تفكيك تلك الأقفال الشيطانية التي أوصدها دعاة الإباحية على دعاة الإنسانية، التي تعمل بدورها على دفع المسلمين نحو العجز الاقتصادي، والكسل الفكري والتقليد الاجتماعي، وتضع قائمة من الأوهام التي تعلم الناس كيف يقعدون ريثما يتوارث العالم الغربي أسلاب الأمم، ويتقاسم ثروات الشعوب.

لذلك أحس العالم العربي والإسلامي بأهمية الاستحواذ على اكبر نوعية وأعلى جودة من وسائل الإعلام، فوصل العرب والمسلمون إلى الشعور بدور وفاعلية هذه الوسائل في تحديد مواطن القوة في الشعوب.

إذن فالمُستقَبَل: هو لمن يسيطر على وسائل الإعلام الحديثة، ويستخدمها استخدام الحريص على أفكاره، والذي لا يهمل إدارتها للترفيه والتسلية فقط، وهنا يؤكد مؤلف كتاب (سياسة القوة: مُستقَبل النظام الدولي والقوة العظمى): أن المرحلة القائمة ليست نظاما دوليا جديدا، ولكنها مرحلة انتقالية لم تُسمَّ بعد، ولم تستقر على حالة نهائية، والخريطة العالمية ترشح العودة إلى ثنائية قطبية أو متعددة الأقطاب.

الوسيلة

الوسائل في اللغة: مفردها وسيلة.

والوسيلة: مصدر من الفعل الثلاثي وسلَ، ومن معانيها الرغبة والطلب، يقال وسلَ إذا رغب، والواسل(الراغب إلى الله ﷻ).

والوسيلة: هي الوسيلة، والواسلة: المنزلة عند الملك، والدرجة، والقربة، وَوَسِل إلى الله تعالى توسيلاً، عمل عملا تقرب به إليه، كتوسل، وهي: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوسِيلُ والوسائِلُ، وهي أيضاً:القُربة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ ، قال ابن جرير (رحمه الله) في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ ، أي: اطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه،

وقال ابن كثير (رحمه الله) في تفسير الآية، والوسيلة: هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود، ومن معاني الوسيلة أيضاً: المنزلة عند الملك، والدرجة، ومن ذلك تسمية أعلى منزلة في الجنة بالوسيلة، كما جاء في الحديث ((إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنَّ من صلى عليّ صلاة صلى الله عليها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلّت له الشفاعة)).

قال الجوهري (ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوسل والوسائل)، إذ لا يتصور البتة الدعوة إلى شيء بدون وسيلة، قال ابن تيمية: (إنَّ الداعي الذي يدعو إلى أمر لا بد فيما يدعو إليه من أمرين:

أ- المقصود والمراد.

ب- الوسيلة والطريق الموصل إلى المقصود.

والمعنى الأول ما يتقرب به إلى الغير، وهو المعنى المراد، فيكون تعريف وسائل الدعوة إذن: ما يستخدم لتبليغ الإسلام للناس، وتعليمهم إياه، وتطبيقه في حياتهم.

وهناك سمات يجب أن تتوفر في الوسيلة الدعوية، منها:

١. أن يتوفر فيها عنصر الإتاحة، بحيث تكون متاحة للجميع، ويمكن الحصول عليها دون عناء.
٢. أو تكون تكاليفها قليلة بحيث تكون ميسورة بصورة عامة لأغلب الجماهير من الناحية المادية.
٣. أن تتعدى بمضمونها اهتمامات مصالح جماعة خاصة ما دامت في أساسها تتوجه إلى الجمهور الواسع المتنوع.

فالوسيلة الدعوية الإسلامية تهدف (إلى تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة، التي تساعدهم على تكوين رأي صائب، في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشاكل، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير، وميولهم واتجاهاتهم، وهذا يعني أن غاية وسيلة الإعلام هي: توسيع مدارك الجماهير عن طريق تزويدهم بالمعارف وإقناعهم بأن يسلكوا مسلكاً معيناً).

وقال باحث آخر (والوسيلة: هي وسيط يتيح للجمهور أن يرى ويسمع، أو يرى ويسمع في آن واحد رموز الرسالة الاتصالية، أي: إنها الوسيط الناقل للرسالة وهي في الوقت نفسه تحت تحكم المستقبل إلى حد ما).

الأساليب الدعوية

أولاً: الأساليب في اللغة: الأساليب جمع مفرده أُسلوب، بضم الهمزة، وتطلق ويراد بها: الطريق والفن، يقال: هو على أسلوب من أساليب القوم، أي: على طريق من طرقهم، ويقال: أخذنا في أساليب من القول، أي: أخذنا بطرق وفنون متنوعة، ويأتي بمعنى: السطر من النخيل والطريق الممتد والوجه والمذهب وطريقة المتكلم في كلامه، وغيرها من المعاني.

وهي تشير عند استخدامها في سياق متصل بأنها: سلوك إنساني ما، تشير إلى القسمات المحدّدة التي تطبع هذا السلوك بطابع يمنحه هويته الخاصة، وعلى هذا التعريف يكون الأسلوب: هو الفن أو الطريق الذي يمر به المرسل أو المتكلم في تكوين كلامه واختيار ألفاظه، فهو يعد: منهجاً كلامياً يتخذه المتكلم في تأدية ألفاظه، ومعانيه بقصد التأثير، ويأتي بمعنى: الاتجاه الديني، أو العقدي، أو الفكري، أو الميول النفسي، أو العاطفي وغيرها، قال تعالى ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾،وقيل هو الأهواء والبدع.

ثانياً: الأساليب في الاصطلاح:

يراد بالأساليب في الاصطلاح الصيغة التي يعبر بها، أو الحلية اللفظية، والشكل الجمالي والإطار الفني الذي يُقدَم به المعنى، أو ما يقوم مقامه، وهو بذلك: كل ما يتَوصل به إلى القُبول والإقناع، وقيل: هو الفن، فأساليب الدعوة: هي فنون الدعوة، وهي الشكل الذي يتم به الأداء مثل الحكمة، والموعظة، والقدوة الحسنة، والجدل إلى أخرها.

والأساليب: هي إبداعات شخصية تُعطِي جمالية رائعة، تقوم على التنسيق والتزيين في الألفاظ يتوصل إلى نجاحها بعد تجارب ودراسة، وقيل الأسلوب: جزء

متكامل منسق تاريخيا ومستقر، من نسق خيالي، ووسائل ومناهج التعبير الفني التي تؤكدها مماثلة المضمون الجمالي والاجتماعي، وهذه المماثلة تتحقق على أساس قوة منهج إبداعي محدد.

ويقاس مدى نجاح هذه الأساليب بمدى التأثير في المقابل في الإبلاغ والإقناع، وهذا هو مقصد الدعوة، وعلى هذا تكون الأساليب: هي عرض ما يُراد عرضه من معانٍ، وأفكار، وقضايا، وعبارات، وجُمل مختارة، تناسب عقلية المخاطبين، وأحوالهم، وأزمانهم، وما يجب في كل حال.

وبعد كل ما قدمنا من بيان لمفهوم الأساليب نستنتج أنّ التوافق والترابط بين عقلية الجماهير وما يُعرض، وبين حاجة الجماهير وفنون تلبية هذه الحاجات على اختلاف أنواعها هي: أهمية قصوى لنجاح التواصل أو الدعوة، وهذا ما يتصدر له الداعية.

إن القلوب تستريح إلى الفنون المختلفة، وتسأم من الواحد قال الخليفة الرابع علي ﷺ (إن القلوب تمل كما تمل الأبدان، فاهدوا إليها طرائق الحكمة) ؛ لأن المعنى المصوغ في ألفاظ مؤلفة على صورة، تكون اقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام، وأفعلَ في نفوس سامعيه.

وعلى هذا تكون الأساليب هي: أشكال دعوية توجد بحسب عقول المخاطبين ومستوياتهم، فنرى طائفة من الناس علماء ومفكرين يكون أسلوب الدعوة معهم بأسلوب الحكمة، وما يتفرع منها من أساليب مخاطبة العقول قبل غيرها، وطائفة أخرى من الناس يكون الخطاب معهم على أسلوب الموعظة الحسنة، والنصيحة الملتزمة فضلاً عن الحكمة، أما طائفة المجادلين والمعاندين، فيستخدم معهم أسلوب الجدل المرتكز على الحكمة المبني على المفاوضة والمناقشة الحسنة التي لا يشوبها عنف ولا إكراه، ولا تخالطها غلظة بل تدور المفاوضة استناداً لقاعدة المنطق السليم والنقاش

البنّاء، وان كانت الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن يتغير بتغير الظروف وحال الدعوة.

من يقوم بدعوة الناس عبر الأساليب

لا يمكن أن يقوم بتأدية هذه الأساليب شخص عادي (لأن الوصول إليها يحتاج إلى عقل مبدع، أو عقل عبقري)،والأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) هم أهلٌ لذلك المكان، ومن يأتي من بعدهم ومن أتباعهم ومن اصطفاهم الله تعالى من عباده ومن قذف في قلوبهم هذه الموهبة الربانية، ومثال ذلك قصة سيدنا نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾ ، فقد قال المفسرون فيها (إعلم أن هذه الآيات تدل على أن مراتب دعوته كانت ثلاثة: فبدأ بالمناصحة بالخير، ثم ثنّى بالمجاهرة، فلما لم يؤثر جمَعَ بين الإعلان والإسرار، وكلمة (ثم) دالة على تراخي بعض هذه المراتب عن بعض إما بحسب الزمان، أو بحسب الرتبة؛ لأن الإجهار أغلظ من الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الاجهار وحده)؛ (ولأن التنقل من أسلوب إلى أسلوب ادخل إلى استجلاب النفوس واستمالة القلوب).

وفي ضوء ما قدمنا فإنَّ الأساليب هي فنون مبتكرة لا يقوم بها إلا مالك لزمام أمور النفوس، المقدم فكرته بمعنى جميل وأسلوب أخّاذ يزيد في بهاء فكرته وفي توهج معانيها، وهذا ما سار عليه القرآن الكريم في أساليبه.

- التعريف بالمناهج الدعوية:
- أ ـ تعريف (المنهج):

١– المنهج:

لغة: قال ابن منظور: ((نهج... وأنهج: وضح واستبان وصار نهجًا واضحًا بينًا)).

وجاء في المعجم الوسيط ما يلي: ((والمنهج والمنهاج: الطريق الواضح، والخطة المرسومة، ومنه منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم، ونحوهما)).

ب. تعريف مناهج الدعوة اصطلاحاً

اصطلاحًا: يقول الدكتور علي جريشة:((وهو عندنا: الخطة أو التخطيط اللازم لشيء ما)) ويقول الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني مناهج الدعوة هي: "نظم الدعوة، وخططها المرسومة لها " فيقال: نظام العقيدة في الإسلام، ونظام العبادة، ونظام الاقتصاد، وما إلى ذلك، كما يقال: نظام التبليغ، ونظام التعليم، ونظام التطبيق. كما يقال: المنهج العاطفي، والمنهج العقلي، والمنهج الحسي.

❖ وعليه فإن المعنى المراد بمصطلح المنهج الدعوي: الطريق الواضح الذي يرسمه ويخطه الداعية، ثم يسلكه ويسير عليه في دعوته وتبليغه شرع الله ﷻ.

الفرق بين منهج الدعوة وأساليب الدعوة:

أ-المناهج الدعوية هي قضايا وموضوعات الدعوة مثال التي جاءت في قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾ النساء٣٦.

ب-إن منهج الدعوة رباني كله من عند الله. لا مجال فيه للاجتهاد.

الأساليب:

أ-كيفية وطرق تطبيق قضايا المنهج.

ب-جاء قواعد كلية واسس عامة لكي يتخذ المسلمين ما يتلاءم مع ظروف الزمان والمكان.

المدرسة الاولى
الامام محمد سعيد النورسي

ولد سعيد النورسي سنة **١٢٩٤**هـ الموافقة لسنة **١٨٧٧**ميلادية في قرية (نورس) – أصلها من كلمة (نوروز)، وهو عيد الربيع لدى الأكراد، وقد حرفت هذه الكلمة إلى(نورس) في أواخر الدولة العثمانية، التابعة لولاية (بتليس) الواقعة فى شرق الاناضول بكردستان تركيا.

أسرته:

هو من أسرة كردية متوسطة الحال، تشتغل بالزراعة، وعلى قدر كبير من التدين، والده "ميرزا بن علي"، لقب بالصوفي لتقواه و ورعه، والدته "نورية بنت مُلاّ طاهر "، عُرفت أيضا بالتقوى والصلاح ؛ فلم تكن ترضع أطفالها إلا وهي على طُهر ما استطاعت إلى ذلك سبيلا. وكان أخوه الكبير (الملا عبد الله) عالما يشتغل بالتدريس.

نشأته:

في وقت مبكر من حياة سعيد ظهرت عليه علامات الذكاء والنبوغ، وتميز عن أقرانه بحب الاطلاع وكثرة الاستفسار ودقة الملاحظة، وكان يحرص على حضور مجالس الكبار التي كان يدعو إليها والده في بيته، ويناقش فيها مع علماء القرية مسائل كثيرة. وفي هذا الصبا المبكر، جلبت اهتمامه مسائل فلسفية وفكرية عميقة، كانت تدعوه إلى التأمل والتفكير، يقول عن نفسه: "كنت قد حدثت خيالي في عهد صباي أي الأمرين تفضل؟ قضاء عمر سعيد يدوم ألف ألف سنة مع سلطنة الدنيا وأبهتها على أن ينتهي ذلك إلى العدم، أم وجودا باقيا مع حياة اعتيادية ذات مشقة؟ فرأيته يرغب في الثانية، ويضجر من الأولى قائلا: إنني لا أريد العدم بل البقاء".

أولى خطواته في الدعوة والإصلاح و دوافعها:

أثناء إقامته في (وان) قرأ خبرا مثيرا نقلته إحدى الصحف المحلية عن خطاب لوزير المستعمرات البريطانية (وليم غلادستون) في مجلس العموم البريطاني، حيث كان يخاطب النواب وبيده نسخة من القرآن الكريم قائلا: "ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به".

هز هذا الخبر كيان النورسي هزا عنيفاً، وأدرك بذكائه واطلاعه أن العالم الإسلامي يتعرض لهجوم غربي جديد يستهدف إخضاع المسلمين وتقويض عقيدتهم ؛ وهذا ما جعله يقرر تسخير حياته لإظهار إعجاز القرآن الكريم وربط المسلمين بتعاليمه، ووعد قائلا: "لأبرهنن للعالم أن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها".

ولإنجاز وعده فكر في إنشاء جامعة إسلامية في كردستان تحت اسم "مدرسة الزهراء"، تكون مركزا لخدمة القرآن الكريم على غرار "الجامع الأزهر" بمصر، وفق نظام حديث، تجمع في التدريس بين العلوم القرآنية والعلوم الحديثة، حتى تخرج شبابا مثقفا ثقافة أصيلة، مستوعبا لما استجد من العلوم، فيسهم حينئذ في نشر حقائق الإسلام والدفاع عنها..

ومن أجل تحقيق هذا المشروع شد النورسي الرحال إلى استانبول وهو لم يتجاوز بعد الثالثة والعشرين من عمره، ومكث هناك سنة ونصف سنة، محاولا إقناع المسؤولين بمشروعه، غير أنه لم يفلح في مسعاه ؛ فرجع إلى (وان).

المحاكمة الأولى لبديع الزمان:

كان النورسي مدركا بأن الإصلاح التعليمي والسياسي هما أساس أي نهضة ؛ لذا قدَّم – أثناء إقامته في استانبول – التماسا إلى السلطان عبد الحميد الثاني يطلب فيه فتح

مدارس للعلوم الرياضية والفيزياء والكيمياء بجانب المدارس الدينية، ولاسيما في كردستان حيث يسود الجهل والفقر والتخلف.

كما طلب من السلطنة القيام بواجبها نحو المسلمين في كل الأنحاء قائلا: "إن مقام الخلافة لا ينحصر في إقامة شعائر صلاة الجمعة، فكما أن للخلافة قدرة وقوة معنوية ؛ يجب أن تكون لها القدرة المادية التي تكفل مصالح الأمة المحمدية في أقطار الأرض جميعا".

وخلال لقائه بالمسؤولين انتقد النورسي نظام الحكم، وسياسة الاستبداد المتبعة من السلطة، مبينا نظام الحكم الصحيح غير أن انتقاد النورسي الصريح أثار غضب حاشية السلطان ؛ فأحيل إلى محكمة عسكرية، وأثناء المحاكمة تكلم بجرأة كبيرة جعلت رئيس المحكمة يأمر بإحالته على لجنة طبية(تألفت اللجنة من طبيب تركي، وطبيب رومي، وطبيب أرمني، وطبيبين يهوديين)، لفحص قواه العقلية ؛ فأصدرت قرارا بوضعه في مستشفى (طوب طاشي) للأمراض العقلية.

الآثار العلمية للنورسي "رسائل النور".

توفى النورسى مخلفاً تراثاً علمياً مهماً يزيد على ثلاثين ومائة رسالة، هي أساس فكره ودعوته. ألف أغلبها فى المرحلة الثانية من حياته، وهى مرحلة سعيد الجديد التى تبدأ من سنة(**١٩٢٦**م)، تاريخ نفيه إلى(بارلا)، وضم إليها أغلب ما ألفه في المرحلة الأولى، وسماها جميعاً (رسائل النور)- يقول النورسى: " إن سبب إطلاق اسم رسائل النور... هو أن كلمة "النور" قد جابهتني فى كل مكان طوال حياتى، منها: قريتى اسمها: نورس، اسم والدتى المرحومة نورية، اسم أستاذي فى الطريقة النقشبندية: سيد نور محمد. وأحد أساتذتى فى الطريقة القادرية: نور الدين، وأحد أساتذتى في القرآن: نورى، وأكثر من يلازمنى من طلابى من يسمون باسم: نور، وأكثر ما يوضح كتبي وينورها هو التمثيلات النورية، وأكثر ما حل مشكلاتي في

الحقائق الإلهية هو: اسم "النور" من الأسماء الحسنى. ولشدة شوقي نحو القرآن وانحصار خدمتي فيه، فإن إمامي الخاص هو سيدنا عثمان ذو النورين رضي الله عنه -.

وهذه الرسائل – كما يبين النورسي – تتوزع على أربع مجموعات رئيسية عمدتها المجموعة الأولى المسماة: (الكلمات) ؛ إذ منها تنبثق المجموعة الثانية: (المكتوبات)، التي بدورها تتشعب عنها المجموعة الثالثة: (اللمعات)، ثم المجموعة الرابعة: (الشعاعات) وهى متفرعة عن سابقتها.

وقد ألحق بهذه المجموعات ثلاثة ملاحق: ملحق بارلا - ملحق قسطمونى - ملحق أميرداغ، وهى رسائل توجيهية إلى طلبة النور في أساليب خدمة القرآن الكريم، وفقه الدعوة، والقضايا العملية التي تواجههم.

منهج النورسي في الدعوة والإصلاح

ثوابت ومتغيرات:

على الرغم مما سبق توضيحه فيما سبق، فإن منهج النورسي يبدو دائماً للباحث أكثر حاجة إلى توضيح تحركاته العملية في نشر الدعوة، والدفاع عن العقيدة ومقاومة التتريك والغزو الأجنبي. ذلك أن العمر المديد الذي عاشه النورسي وما حدث خلاله في العالم الإسلامي من تحولات عميقة، وانقلابات متتالية، جعل استخلاص منهجه في الدعوة والإصلاح أمراً تكتنفه بعض الصعوبات ؛ لأن النورسي لم يسر على نمط واحد في كل الفترات، ولم يتعامل بالأسلوب نفسه مع كل الأحداث الجسام التي شهدها، لكنه – ولا ريب – ظل ثابتاً على أهداف الدعوة التي آمن بها وسخر كل جهوده لها.

إن التعرف على منهج النورسي لا يمكن أن يتضح من خلال استقطاع فترة تاريخية من حياته، والحكم على هذه الفترة المحدودة من دون النظر إلى ما سبقها، وما تلاها وما صاحبها من ظروف وملابسات.

أظن أن المنهج الأسلم لدراسة منهج بديع الزمان يكمن في دراسة شاملة لحياته، وهي دراسة توازي في شموليتها سعة ثقافته، وتعدد مجالات الإصلاح التي ارتادها.

أصالة المنطلق وتحديد الهدف:

إن الرؤية الشمولية لحياة بديع الزمان تؤكد حقيقة أولى – هي أهم ما يميز منهج كل دعوة إصلاحية، جوهر هذه الحقيقة هو أصالة المنطلق الذي انطلق منه النورسي متجهاً نحو أهداف دعوته الثابتة.

والذي تفيده المصادر أن الشرارة الأولى التي استفزت حمية النورسي الدينية، هو ما صرح به وزير المستعمرات البريطانية (غلادستون) في خطابه لمجلس العموم

البريطاني، وهو ما يمكن ان نطلق عليه هو الهم الدعوي الذي يجب ان يلازم الدعاة الى الله وهو الهم الذي يحرك القلوب والعقول للدفاع عن هذا الدين واستمراية وجوده واعتقاد عقيدته. كما شخص هذه النقطة تلميذه خلوصي (هو خلوصي يحيى كيل من اوائل طلبة الامام النورسي الذي تتلمذوا على يديه في بارلا وكان حيئذ ضابطا برتبة نقيب كان يبعث من يستفسر عنه الى استاذه من امور ايمانية فجمعت تلك الاجوبة وسميت مكتوبات، توفي عام **١٩٨٦** عن **٩١** عام) عندما اثبت ما راه من اجابات ورسائل النور التي كان يتلقاها من الامام النورسي.

هكذا بدأ بديع الزمان دعوته منطلقاً من القرآن الكريم نحو هدف محدد وثابت، هذا ما يوضحه التتبع الدقيق لتاريخ حياة بديع الزمان، إذ منذ فترة التلمذة دخل في مناقشات ومناظرات علمية مع من قابله من العلماء، وتفوق عليهم حتى ذاعت شهرته، وفي هذا الوقت المبكر من حياته شغلته أحوال التعليم والمدارس الدينية التي كانت تعاني من الجمود، سواء من حيث المناهج أو طرق التدريس فيها فحاول معالجة أوضاع المؤسسات التعليمية ومناهجها بدعوته إلى الاهتمام بالعلم وجوهره بدل التركيز على العلوم الآلية التي أضحت مقصودة لذاتها.

انتقد النورسي أحوال علماء عصره، فعاب عليهم ضعفهم وعجزهم عن التأثير في المجتمع، ورأى أن أسباب ذلك تكمن فيما يلي:

١- يتناسى علماء عصره الفرق بين الحاضر والماضي، فيبالغون في الدعوة لآرائهم والتعصب لها من دون إيراد الأدلة الكافية المقنعة.

٢ - لا يحافظون على توازن أحكام الشريعة في دعوتهم، ولا يميزون بين الأهم والمهم.

٣- لا يشخصون علل هذا العصر بما يناسبه، وكأنهم يسحبون الناس إلى الزمان الغابر فيحدثونهم بلسان ذلك الزمان.

ونظراً لأن الدولة العثمانية والعالم الإسلامي كانا يواجهان تهديداً استعمارياً غربياً حثيثاً، فإن بديع الزمان كان يحاول إصلاح الأوضاع الداخلية لمواجهة الأخطار الخارجية. ولعل أبرز عمل في مسيرة النورسي المبكرة للإصلاح دعوته لإنشاء جامعة إسلامية عالمية تحت اسم "جامعة الزهراء"، وقد بيّن أهداف هذا المشروع كما يلي:

١- توحيد المدارس الدينية وإصلاحها.

٢- إنقاذ الإسلام من الأساطير والإسرائيليات والتعصب الممقوت الناشئ عن الجهل، والمتمثل في قسم من مقلدي أوروبا وملحديها.

٣- إدراج العلوم الكونية الحديثة في منهاج المدارس الدينية.

٤- تقليص الهوة بين المدارس الدينية والمدارس الحديثة وأهل الزوايا "التكايا"، سعياً إلى توحيد المقصد وتوحيد الصف في المجتمع.

دعا النورسي إلى مشروعه – بداية – في الصحف محاولاً إبراز فائدته، ثم توجه إلى مقر الخلافة لإقناع السلطان عبد الحميد الثاني بجدوى المشروع، لكن انتقاده الصريح لنظام الحكم جعل السلطان يرد عليه بإحالته إلى مستشفى المجانين، ثم إلى السجن.

وبعد خروجه من السجن واصل نشاطه بكتابته في مجلة "ولقان" الناطقة باسم الاتحاد المحمدي وغيرها من المجلات، مركزاً على وجوب التمسك بالإسلام، وضرورة قيام المسلمين بالجهاد لإعلاء كلمة الله ونشر الحق والعدل وتحقيق التعاون بين المسلمين.

ولئن كان النورسي قد وجد نفسه في صف واحد مع الاتحاديين في المطالبة بالحرية السياسية وإصلاح نظام الحكم الاستبدادي، فإنه حاول أن يربط هذه المفاهيم بضوابط الشريعة وآدابها، كي لا تصبح ستاراً لاستبداد جديد، وهنا نلاحظ ان النورسي قيد السياسة بقيود الدين لا العكس كون السياسة ذات مرتكزات هلامية مطاطية يمكن التشكل والتقولب حسب الحاجة والتحديات ولو على حساب

الثوابت، خلاف الدين ذو المرتكز الثابت والحصن الحصين على القران والسنة وما رافقها من مرتكزات ثابتة.

إن منهج النورسي يبدو – ولاشك – ثابتاً من حيث الأهداف التي حددها لدعوته في كل الأطوار السياسية التي شهدها، وهي أهداف واضحة يلخصها الأستاذ شكري أصلان(شكرى أصلان: من مواليد **١٩٤٧** بكردستان(محافظة أورفاURFA). تعلم اللغة العربية والعلوم الشرعية وحصل على الإجازة من مدرسة الشيخ خليل الماردينى الذي كان مفتياً بمحافظة "الرها". انتسب إلى جماعة النور سنة **١٩٦٧** وهو تاريخ حصوله على الإجازة. درّس في مدارس الجماعة حوالي ثماني عشرة سنة. له مؤلف في علم الصرف، وهو الآن عضو هيئة الشورى بالجماعة وهو أب لثلاثة أطفال) في نقطتين رئيسيتين:

١ . الدفاع عن القرآن وتعاليمه، ودفع الشبهات عن العقيدة والدعوة إلى تبني الإسلام شريعة شاملة كاملة.

٢ . توحيد الشعوب الإسلامية في إطار سياسي يضمن لها تحقيق مكانتها بين شعوب العالم.

فمن خلال متابعة سيرة النورسي، يتضح أنه استعان بالوسائل التالية:

(١) الوعظ والتوجيه:

استعان بالوعظ في بداية عمله الدعوي بقرى كردستان، حيث توفر لديه هامش من الحرية، فكان ينتقل من قرية إلى أخرى، يتحدث إلى السكان والقبائل، ويرشدهم إلى أمور دينهم، ويبصرهم بما يحيط بهم من أخطار وتهديدات.

(٢) الحوار والمجادلة:

كما لجأ إلى الحوار والمجادلة مع علماء عصره، ينقاشهم، ويكشف تقصيرهم في أداء الدور المنوط برجال العلم، لاسيما وقد كانت الدولة العثمانية في أمس الحاجة إلى إسعاف أهل العلم لها بعد أن بلغ الضعف منها مبلغه.

(٣) الكتابة الصحفية:

ونشط أيضاً في المجال الإعلامي من خلال كتابة المقالات الصحفية التي ترصد الأحداث وتكشف ما يهدد كيان الأمة، وتدعو جميع المسلمين إلى اليقظة والعمل على إصلاح الأوضاع، كي لا يستغلها أعداء الإسلام - سواء في الداخل أو الخارج - للسيطرة على الأمة وتشويه عقيدتها. لكن سيطرة أتاتورك على السلطة حالت دون استمرار النورسي في استخدامه لهذا المنبر في صراعه ودعوته.

(٤) التأليف العلمي:

ربما كان التأليف العلمي المتمثل في رسائل النور أعظم ما توسل به النورسي في خدمة دعوته، بل يكاد يكون الوسيلة الأكثر ملازمة له منذ شبابه وإلى آخر حياته، والوسيلة الأكثر تأثيراً في خدمة دعوته، لكن بروزها لم يتبلور إلا بعد بداية مرحلة النفي والإقامة الجبرية، ويمكن القول إن هذه الظروف القاسية التي فرضت عليه أسهمت إلى حد كبير في تهيئة الجو المناسب للكتابة ؛ حيث توفر للنورسي التفرغ الواسع للتأمل والتفكير والتأليف، وهذا أيضاً ما يفسر - فيما أرى - ضخامة مؤلفاته وعمقها وكما يمكن ان نسمي تلك المعتقلات والمنفيات المدارس اليوسفية نسبة الى سجن سيدنا يوسف (عليه على نبينا افضل الصلاة والسلام).

(٥) المرافعات القضائية:

سيق النورسي وطلابه إلى عشرات المحاكم، فكان يتولى بنفسه الدفاع عن قضيته، ولعل المرافعات الكثيرة التي قام بها وجادل فيها القضاة والمسؤولين، بطريقة

بارعة تحولت إلى منبر إعلامي لصالح دعوته، بدل أن تكون وسيلة لإدانته وشل حركته.

(٦) الصراع السياسي:

وقد كان الطابع المميز لمسيرة بديع الزمان، لكن اختلفت أشكاله باختلاف السلطة الحاكمة والظروف السياسية العامة، ففي العهد العثماني تمثل صراعه في نقده المباشر لنظام الحكم الفاسد ودعوته الصريحة إلى إصلاح هذا النظام وفق قواعد الشريعة. كما تمثل صراعه السياسي – فيما لحق من عهود – في موقفه الرافض لكل الدعوات التتريكية والتغريبية التي قضت على ما تبقى من رسم للشريعة، وهذا ما كلفه كثيراً من الأذى سجناً ونفياً وملاحقة في الحياة وبعد الممات.

وبهذا أخلص إلى أن النورسي قد اتبع في خطواته العملية كل الوسائل التي أتيحت له، فكان منهجه بذلك متكاملاً، بحيث استعان في كل ظرف بما يناسبه من الوسائل وما يصلح له.

المدرسة الثانية
مدرسة أبو الاعلى المودودي رحمه الله

يعد أبو الأعلى المودودي نموذجًا فريدًا للداعية الإسلامي المجتهد الذي أوقف حياته على الدعوة إلى الإسلام، وجعل رسالته في الحياة إعلاءَ كلمة الحق، والتمكين للإسلام في قلوب أتباعه قبل ربوعه وأوطانه. وكان لإخلاصه في دعوته واجتهاده في رسالته أكبر الأثر في التفاف الكثيرين حوله، وانضوائهم تحت لواء فكره الذي تخطى حدود القومية ونطاق المكان؛ ليصبح راعيا عالميًا للإسلام في كل مكان، بل إن أعماله ومؤلفاته قد انطلقت لتتخطى حدود المكان وتتجاوز إسار اللغة، فترجمت إلى معظم لغات العالم؛ لتظل ينبوعًا متجددًا لعطائه الفكري والدعوي الذي تجاوز مرحلة الدعوة باللسان والتنظير الفكري إلى مجال التطبيق العملي للتشريع الإسلامي حكمًا وقيادة ومعاملات.

المولد والنشأة

ينتمي أبو الأعلى المودودي إلى أسرة تمتد جذورها إلى شبه جزيرة العرب، فقد هاجرت أسرته منذ أكثر من ألف عام إلى "جشت" بالقرب من مدينة "هراة"، ثم رحل جده الأكبر "ضواجه مودود" إلى الهند في أواخر القرن التاسع الهجري.

وكان أبوه سيد أحمد حسن مودود الذي ولد في دلهي بالهند سنة (**١٢٦٦** هـ = **١٨٥٠**م) واحدًا من طلاب جامعة عليكرة، وقد عمل مدرسًا، ثم عمل بالمحاماة، وفي (**٣** من رجب **١٣٢١** هـ = **٢٥** من سبتمبر **١٩٠٣**م) رزق بابنه "أبو الأعلى المودودي"، وبعد ذلك بنحو عام اعتزل الأب الناس، ومال إلى الزهد، فنشأ أبو الأعلى في ذلك الجو الروحاني، وتفتحت عيناه على تلك الحياة التي تفيض بالزهد والورع والتقوى.

ولد المودودي بمدينة "أورنك أباد" في ولاية حيدر أباد بالهند، وكان أبوه معلمه الأول، الذي لم يعلمه في المدارس الإنجليزية واكتفى بتعليمه في البيت.

وقد عنى السيد أحمد حسن بتربية ولده على أفضل ما يتصور من الأخلاق. ويتحدث الأستاذ عن عناية ذلك الوالد قائلاً: "إنه كان يأخذه بالتوجيه الشامل، حتى ليمنعه من استعمال الألفاظ الدارجة، ويدرب لسانه على أفضل الأساليب، وفي الليالي يقص عليه من أخبار الأنبياء، وتاريخ الإسلام، والأحداث الشهيرة من أيام الهند، ويكشف له عما وراءها من الدروس والعبر".

ويقول الأستاذ أيضاً: "لقد ضربت ذات يوم طفلاً لأحد الخدم في حارتنا، ولما انتهى الخبر إلى والدي دعاني وجاء بذلك الطفل وأمره أن يقتص مني".

وهكذا أحيط أبو الأعلى منذ نعومة أظفاره بالكريم من التربية العملية، التي طبعت حياته بالأكرم من الخلال.

كما حرص أبوه على تعليمه اللغة العربية والفارسية بالإضافة إلى الفقه والحديث، وأقبل المودودي على التعليم بجد واهتمام حتى اجتاز امتحان مولوي، وهو ما يعادل الليسانس.

أما من ناحية نباهته فإلى جانب حفظه للموطأ في سنه المبكرة كان تقدمه في العربية التي. يقول. إنه بلغ من إلمامه بها خلال بضعة شهور ما مكنه من ترجمة كتاب (المرأة الجديدة) تأليف الكاتب المصري الشهير قاسم أمين، إلى اللغة الأردية بطريقة نالت الإعجاب.

ومن تلك المرحلة انتقل إلى المدرسة الثانوية فألحق بالسنة الثامنة ولما يتجاوز الحادية عشرة من العمر واستحصل على شهادتها وهو في الرابعة عشرة بتفوق بالغ.

ولقد أدى زهد والده إلى ضيق في معيشتهم شديد، اضطر الوالد للنزوح إلى مدينة بهوبال، تاركاً ابنه يتابع دراسته في "أورنك أباد". ويصف الأستاذ المودودي

هذه الفترة من حياته قائلاً: "كان مسكنه على مبعدة خمسة عشر ميلاً من مدرسته، وعليه أن يجتازها على قدميه ذهاباً وإياباً كل يوم.. وربما فعل ذلك وهو طاوي البطن لا يجد ما يأكله".. وبعد نصف سنة جاءته الأخبار عن شلل أصاب والده، فلم يتمالك أن يترك المدرسة ليعود مع والدته إلى بهوبال حيث قاما برعاية والده الصالح حتى وافته المنية عام (**١٩١٧**م).

طريق ابو الاعلى الدعوي

تحت التأثير الفكري المذكور آنفا قرر الأستاذ المودودي أن يقف حياته على الدعوة إلى الله، ولكنه كان على أتم القناعة بأن الإقدام على هذه المهمة يقتضي استعداداً خاصاً من الزاد العلمي يتناسب مع مستوى العصر.. هذا العصر المليء بالأفكار والتيارات المذهبية مما لم يسبق له مثيل حتى في العصور العباسية.

وفي عام (**١٣٥١**هـ = **١٩٣٢**م) أصدر مجلة "ترجمان القرآن" من حيدر آباد الركن، وكان شعارها: (احملوا أيها المسلمون دعوة القرآن وانهضوا وحلقوا فوق العالم).

وهكذا انقطع الفتى إلى المطالعة الواسعة العميقة، مكتفياً من العمل الدنيوي بالقليل الذي يكفه عن الحاجة، لينصرف بكل طاقته إلى الدعوة عن طريق مجلته "ترجمان القرآن" وقد صور لنا مدى تصميمه بالكلمة التالية التي افتتح بها العدد الأول منها:

"إن هذه المجلة تضع قدمها اليوم في طريق محفوف بالمصاعب والمحن، ويتولى عبئها رجل يعترف بأنه ضعيف فاقد القيمة صفر اليدين. ولكنه على الرغم من وعورة الطريق استعد لحمل هذا العبء يقيناً منه بأن الله الذي نور قلبه بالإسلام، وخلق في نفسه حب الدعوة إليه، هو الذي سوف يؤازره بنصر من عنده، ويمنحه

الرسوخ في العلم، والصحة في الفكر، والسلامة في القلب، والطهارة في النفس، والسمو في الروح"

وبهذه العزيمة الفذة يمضي الشاب الفقير الأعزل، إلا من سلاح الإيمان والرؤية الواضحة والتصميم الحاسم، في طريق الدعوة التي وهب لها نفسه، ووقف عليها مجلته التي لم يكن لها مؤنس سواه، فهو مديرها ومحررها، ومصحح طبعاتها والساعي الذي يحملها إلى البريد.. والمجيب على كل استفسار يتعلق بها.. فمن أجلها يسهر الليالي يطالع ويكتب إلى صلاة الفجر، ومن أجلها يتحمل شظف العيش حتى لتأتي عليه أيام لا يتاح له من الطعام إلا العدس والماء.

وعلى غلاف المجلة كتب عهده للقراء بأن غايتها إعلاء كلمة الله والدعوة إلى الجهاد في سبيله، ووسيلتها إلى ذلك نقد الأفكار المنحرفة ومبادئ الحضارة الغربية بمحك القرآن، ثم عرض المبادئ التي جاء بها كتاب الله وسنة رسوله في كل مجال من الفلسفة والعلوم والسياسة والاقتصاد والاجتماع... إن هذه المجلة تدعو الأمة المسلمة إلى حياة جديدة، وخلاصة دعوتها:

"أيها الناس، اجعلوا قلوبكم وأذهانكم مسلمة خاضعة لله، وتخلوا عن نظم الجاهلية واسلكوا صراط الله المستقيم، وخذوا كتاب الله بالقوة لتكونوا سادة العالم وأئمة الحضارات".

وسرعان ما انتشرت هذه الأفكار في مواطن المسلمين على مدى القارة، كما ينتشر شعاع الفجر في ليل كثيف الظلمات.. وأخذت كلماته سبيلها إلى القلوب والعقول تتداولها وتتأملها وتتفاعل معها.

الحوار البناء

بقي أن نتحدث عن ذلك الفريق الآخر الذي حفظه الله من نزغات الشيطان، فوقف من الأستاذ المودودي وأفكاره موقف المؤمن الذي يراقب الله في حكمه على الأحداث والأشخاص، فكان نظره إلى أعمال المودودي موزوناً بقسطاس العدل والإنصاف.

لقد وقف هؤلاء على أفكار هذا الرائد المجدد، فاقتنعوا بأكثرها، وأعطوه حقه من التقدير والثناء، ووقفوا من قليلها موقف الغيور الناصح، الذي يرى في هذا القليل بعض الشطط عن الأصول التي التزم بها الأستاذ في بحوثه الأخرى، فكان عملهم نوعاً من التعاون على تأييد الحقيقة التي هي رائد الجميع، ولا جرم أنه اجتهاد مأجور أخطأ أو أصاب.

من هؤلاء الفضلاء المنصفين سماحة الأخ الشيخ أبي الحسن الندوي، صاحب التآليف، التي قلت وأقول إنها مع مؤلفات المودودي، المركب الذي باركه الله ليكون دليل الجيل المسلم المعاصر في مسيرته الجديدة الهادية إن شاء الله.

في كتاب "التفسير السياسي للإسلام" الصادر في رمضان (**١٣٩٨**هـ) يناقش الأستاذ أبو الحسن الندوي بعض أفكار أخيه المودودي، فيترجم إعجابه الكبير "بمقالاته القيمة التي كان يكتبها في مجلته الغراء (ترجمان القرآن) في نقد الحضارة الغربية ونظام الحياة الغربي، التي تتميز بأسلوبها الهجومي ونقدها اللاذع لحركة التقدمية والتجدد وفكرة القومية المتطرفة، التي نجمت وباضت وفرخت في حضن الثقافة الغربية، وكذلك موضوعات وقضايا في صميم الشريعة الإسلامية.

وسطر قلمه مقالات قوية مؤثرة معضدة بالدلائل أمثال (الربا) (الحجاب) (الجهاد) (الأضحية) (الرق) (حجية الكتاب والسنة) (الأحوال الشخصية) وما إليها من المسائل الهامة.." حتى ينتهي إلى القول بأنه "سيكون من الإجحاف الكبير

إذا لم نوف حقه من الاعتراف بما لعبته مقالاته هذه، ومؤلفاته ووسائله المستقلة من دور رائع في إعادة الثقة إلى الطبقة الذكية المثقفة ثقافة غربية بالإسلام، وبقيمه وتصوراته وفي تخليصها من مركب النقص ونفسية الهزيمة الداخلية حيال الإسلام وتعاليمه، مما جعل بعض الكتاب يدعونه "متكلم الإسلام".

سمات الفكر الدعوي للمودودي

يقول الشيخ القرضاوي: وهنا قدر الله تعالى أن يظهر المودودي بفكره التجديدي الأصيل، يعرض الإسلام كما أنزله الله، لا كما يشتهيه الناس.. الإسلام كما هو، وبما هو. لا يعتسف في تأويل، ولا يلجأ إلى تبرير، ولا يعتذر عن حكم جاء به الوحي، وصح نسبه إلى الإسلام، ولا يقيم معركة بين العقل والوحي. بل يجعل العقل في خدمة الوحي، فهما وبيانا وتعليلا.

١- الالتزام بالإسلام كل الإسلام:

لم يكن إسلام المودودي . الذي جند نفسه لتجديده . إسلام الجامدين من مقلدة المذاهب الذين رفضوا الاجتهاد والتجديد، ولم يعرفوا العلم إلا في كتب المتأخرين من علماء المذهب وما عدا ذلك فهو مردود.

ولم يكن إسلامه إسلام خصومهم الذين رفضوا المذهبية، ولكنهم وقعوا أسرى الشكلية والحرفية واللفظية، ولم تتسع آفاقهم لتفهم مقاصد الشريعة، واستيعاب روح الإسلام، وهم الذين سميتهم (الظاهرية الجدد) الذين نصبوا معركة بين النصوص الجزئية والمقاصد الكلية للشريعة.

ولم يكن إسلامه إسلام خصوم هؤلاء وأولئك من المخرفين من أتباع التصوف المنحرف الذين أفسدوا العقائد بالخرافات، وأفسدوا العبادة بالمبتدعات،

وأفسدوا الأفكار والسلوك بالتربية السلبية التي تجعل المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل.

ولم يكن إسلامه إسلام دعاة العصرية من عبّاد الحضارة الغربية وعبيد الفكر الغربي، الذين غيروا قبلتهم من مكة إلى أوربا، وأرادوا أن يجعلوا من الإسلام ذيلا لحضارتها.

كان إسلام المودودي الذي يدعو إليه إسلاما خالصا لا يقبل الشركة ولا تشوبه شائبة، فلم يقبل في يوم من الأيام أن يشوبه باشتراكية أو ديمقراطية أو قومية. فلكل من هذه الدعوات وجهتها ومحتواها وغاياتها ووسائلها الخاصة. أما الإسلام فهو نسيج وحده، سابق عليها، متميز عنها بمضمونه، وأهدافه ووسائله، ويكفي أنها تمثل قصور البشر، وأهواء البشر، وهو يمثل كمال الله، وعدل الله: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [البقرة:١٣٨].

كان إسلام المودودي إسلاما شاملا، لا يقتصر على العقيدة وإن كانت هي أساس البناء، ومنها انطلق إلى نظرياته السياسية وغيرها. ولا يقف عند حد العبادة الشعائرية، بل ينطلق منها إلى جعل الدين كله عبادة كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية من قبله.

لا يكتفي بالأخلاق، على الرغم من منزلتها في الدين: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". إنما الإسلام عنده (نظام كامل للحياة) فهو نظام عبادي، ونظام خلقي، ونظام اجتماعي، ونظام اقتصادي، ونظام سياسي. وقد وضح ذلك في رسائله وكتبه، ومنها رسالة "نظام الحياة في الإسلام".

هذه هي المزية الأولى لفكر المودودي: إنه ملتزم بالإسلام كل الإسلام بلا تنازل ولا مساومة.

٢- المعاصرة:

وكانت المزية الثانية لفكر المودودي: أنه ينظر إلى الإسلام بعين، وإلى العصر بأخرى، فهو لا يعيش في الماضي معزولا عن الحاضر، بل يخاطب العقل المعاصر بلغته، ويحاجه بمنطقه، ويلزمه بمقتضى مسلماته الفكرية والعلمية. وهذا شأن الداعية الموفق الذي فقه معنى البيان في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ [إبراهيم: ٤].

وقد آتاه الله موهبة (التأصيل) و(التنظير) فهو ينظم الحبات المتناثرة في سلك يجعل منها عقدا، ويرد الجزئيات إلى الكليات، والفروع إلى الأصول، بحيث يستخرج منها الفكرة الكلية للإسلام أو ما يسمى (النظرية الإسلامية).

٣- المواجهة:

لم يسلك المودودي سبيل (المعتذرين) عن الإسلام، أو (المحامين) الذين تصوروه داخل قفص الاتهام ثم تولوا الدفاع عنه، أمام هجمات الحضارة الغربية ودعاتها من ليبراليين واشتراكيين.

أجل، لم يكن المودودي يوما في موقف الدفاع أو الاعتذار، أمام الحضارة الوافدة، والأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، بل كان موقفه المواجهة والهجوم. ولم يرعه هذا (الصنم الكبير) الذي وقف تجاهه الكثيرون مبهورين، وخر أمامه آخرون ساجدين، وهو صنم (الحضارة الغربية) التي بلغت أوجها بالتفوق العلمي والتكنولوجي.

فقد كان معتزا بإسلامه غاية الاعتزاز، مؤمنا بتفوق رسالته كل الإيمان، وكان أساس إيمانه أن ما وضعه المخلوق. بما فيه من قصور ذاتي وهوى غالب. لا يمكن أن

يرقى إلى ما شرعه الخالق. الذي وسعت كل الخلق رحمته، ووسع كل شيء علمه: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

وكان. كما ذكرنا. على معرفة كافية بعيوب الحضارة الغربية، ونقاط الضعف فيها، ومواضع الخلاف فيها لرسالة الإسلام، ولا غرو أن شن حملته على تلك الحضارة، ونقدها نقدا علميا أظهر عوارها، وكان أقدر من تصدوا لهذه المهمة الجليلة: مهمة إعادة الثقة بالإسلام في مواجهة الحضارة الغربية، وكان أحق بها وأهلها.

نقد الحضارة الغربية بقوة في (جانبها الاجتماعي) حين أصدر كتابه: (الحجاب) مبينا فيه فلسفة الإسلام في الاحتشام، ونظرته إلى المرأة والأسرة، التي تخالف جذريا نظرة الحضارة الغربية.

ونقد الحضارة الغربية بقوة في (جانبها الاقتصادي) حين ألف كتابه في (الربا) الذي يعتبر عصب النظام الرأسمالي الذي قامت عليه المدنية الغربية، وبين الحكمة من وراء تحريم الإسلام للربا إلى حد أن آذن القرآن فاعله بحرب من الله ورسوله.

كما بين من ناحية أخرى مزايا النظام الإسلامي في الاقتصاد، وكيف حل معضلاته في يسر، ووضع الأسس العادلة لحياة اقتصادية طيبة كما ظهر ذلك في رسالتَيّ: (معضلات الاقتصاد وحلها في الإسلام) و(أسس الاقتصاد في الإسلام مقارنا بالنظم المعاصرة).

وكذلك نقد المودودي الحضارة الغربية في جانبها السياسي، وإن رأى الكثيرون أنه أفضل جوانبها، لما وفرت فيه للفرد من حريات، وما حمت من حقوق وحرمات.

ربما كان عيب المودودي في هذه المواجهة: أنه. مبالغة منه في الحفاظ على هوية الأمة، وخصائص حضارتها، ومقومات رسالتها . اتخذ خط التشدد مع الحضارة الوافدة، ولم يسمح لنفسه بأي قدر من الملاينة والمرونة، كما فعل آخرون.

وفي مواجهة العلامة المودودي للحضارة: حدد النقاط الأساسية التي تخالف فيها الحضارة الغربية حضارتنا الإسلامية، وهي:

١- العلمانية.

٢- القومية.

٣- الديمقراطية.

وتحدث عن كل منها حديثا مستفيضا

طريقة الإمام في إعداد الدعاة

يقول الإمام رحمه الله:

{لا نحتاج في إعداد الرجال اللجوء إلى المغاور والكهوف، ولا إلى اختيار أساليب معينة في تزكية القلوب بل الطريق الصحيح للتربية أن ينهض الرجل للدعوة إلى دين الله. فإنه بمجرد أن يقوم بهذا الأمر يتسارع الناس إلى وضع أصابعهم على ما فيه من نقص وعيب متسائلين: كيف أن فضيلة الداعية ينصحنا بكذا وكذا من المكارم وهو نفسه مصاب بكذا وكذا من العيوب. هذه هي التربية التي ينالها كل من يتولى مهمة الدعوة يوميا. فيكون مثله كمثل إناء تدلكه الأيدي الكثيرة إلى تصقله جيداً ولا تترك عليه شيئاً من الأوساخ. فالتربية عندنا: أن تخرج يا أخي للدعوة إلى الله فيستقبلك الناس بالشتائم فلا تقابل الشتائم بالشتائم. يفتري عليك الناس افتراءات كاذبة فلا تكايلهم كيلاً بكيل. تستميلك المغريات فلا يصرفنك أي شيء منها عن الجادة، تتكبد الخسائر تلو الخسائر في سبيل الحق فتتحملها برحابة صدر

ورباطة جأش، يقبل عليك القوى الرهيبة في الطريق بالنذر والتهديدات فلا تقطع سفرك إلى الغاية المقصودة في حال من الأحوال. يتابع الإمام ويقول: لا أعرف أسلوباً آخر أكثر نفعاً وأقوى تأثيراً لإعداد الرجال غير هذا الأسلوب، ولا أرى كذلك أن هذا النمط من التربية يمكن الحصول عليها في الخانقاهات والحجرات وبممارسة الأساليب التي تروج عند محترفي التصوف، وهي عندي أساليب التخدير لا أساليب التربية، ونعوذ بالله منها ألف مرة. فالتربية التي نحب أن يتحلى بها رجالنا لا تتم إلاّ في قعر المعركة والممارسة الفعلية للدعوة}.

أساليب الإمام الخمسة لنشر الدعوة:

هكذا فإن الإمام المودودي رحمه الله ظل يقود الدعوة بصورة تجعلها على مستوى المعركة. وألخص لكم فيما يلي منهج عمله وأسلوب دعوته الذي ربانا عليه. وهو يشتمل على خمس نقاط رئيسية:

١- أسلوب الفلاَّح: أو بكلمة أخرى أسلوب التركيز، وبيانه: إنّ الإمام المودودي يعتبر الداعية مثل الفلاح الذي يختار قطعة من الأرض ويمهدها للزراعة: يحرثها بالمحراث، ويصفيها من الحشائش ثم يسقيها بالماء فيوزع فيها البذر، وينشر فيها السماد، ويرش فيها المبيدات للحشرات، ثم يتعهدها بالحراسة ويتابع سقيها عند اللزوم، ويواصل في هذا الشأن ليله بنهاره إلى أن يستوي الزرع على سوقه فيحصده إذا شاء الله أن يحصد.

والدعوة كذلك تحتاج في رأي الإمام إلى نفس العملية الفلاحية، والجهد الشاق، والنفس الطويل، والرعاية الدائمة، واختيار نماذج من البشر لإصلاحها وجعلها قاعدة متينة للدعوة.

٢- أسلوب الطبيب: وبيانه: إنّ الدعوة هي عبارة عن معالجة أبناء آدم من الأمراض العقيدية والخلقية الفردية منها والاجتماعية. وكما لكل مرض دواؤه ولكل مريض وصفته. فكذلك أن الداعية عليه أن يراعي نفس الطريقة: يصف المرض ويدرس طبيعة المريض ثم يختار له الدواء. وإذا كان المريض مصاباً بعدة أمراض فيأخذ الطبيب المرض الأخطر قبل الخطير. وأم الأمراض هي الشرك بالله بأنواعه. ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطَّفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق. فعلى الداعية أن يعالج هذا الداء الفتاك بالحكمة والموعظة الحسنة. ولا يكون كالطبيب الذي لم يتعلم من معهد الصيدلة إلاّ إبرة واحدة يطعمها كل من يراجعه: لا يفرق بين المريض بالأنفلونزا وبين المريض بالسل، ولا بين الصغير والكبير، ولا بين من طبيعته صفراوية ومن طبيعته سوداوية حسب تعبير الأطباء. ثم إنّ الطبيب يحارب المرض ولا يحارب المريض. والداعية مهمته مقاومة الأمراض الشائعة في المجتمعات، لا مقاومة المرضى الذين أصيبوا بتلك الأمراض إما بعدم الأخذ بالتدابير الوقائية، أو بتناول الأطعمة الفاسدة، أو بمصاحبة المرضى الخطيرين. وفي كل الأحوال فالداعية مدعو إلى أن يعتني بالمرض ويواصل اعتناءه به إلى أن يوفقه الله لعلاجه. ويقول ﷻ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]. صدق الله العظيم

٣- أسلوب التصنيف: صنف الإمام رحمه الله الدعوة إلى قطاعات ومجالات آخذاً بمبدأين معروفين: الأول: الرجل المناسب في المكان المناسب. والثاني: لا ينبغي وضع البيض جميعاً في سلة واحدة. وعلى هذا هناك دعوة عامة تشمل الجميع وتدخل كل بيت من البيوت من قبل الجماعة الإسلاميّة. ولكن الظروف في باكستان

اقتضت تصنيف الدعوة فأنشئت منظمات مختلفة في قطاعات مختلفة. وتولى الدعوة في كل قطاع من هو أهله في ثقافته وخبرته وظروفه. وإليكم بعض تلك القطاعات:

إنّ الجماعة الإسلاميّة هي الأصل وهي التي تعتبر الحركة الإسلاميّة الأم. ولها حوالي أربعة آلاف وخمسمائة فرع في باكستان بين صغير وكبير. وهناك خارج الجماعة قطاعات حركية أخرى نذكر لكم على سبيل المثال عدة قطاعات.

(أ) قطاع الطلبة والشباب: تشتغل فيه (إسلامي جمعية الطلبة = جمعية الطلبة المسلمين). ويقوم على أمرها الطلبة المسلمون الذين تشبعوا بدعوة الإمام وفكره. واتخذوا الإسلام غاية حياتهم. وبلغت الجمعية من الدعوة والنفوذ الشأو البعيد حيث تسيطر هذه الأيام على معظم الجامعات والكليات والمدارس العصرية في باكستان: تحارب المنكرات في مجال التعليم والتربية، وتنشر الإسلام بالكتب واللقاءات ومخيمات التربية ومساعدة الطلبة الفقراء، وتجعل المؤسسات التعليمية على ما فيها من فساد في المناهج وانحراف في الجو مشاتل لإعداد الجيل المسلم الصالح

(ب) قطاع التعليم والتربية: تفرغت للعمل فيه (منظمة المعلمين). وهي تضم أغلبية المعلمين في المدارس الابتدائية والثانوية والكليات والجامعات. ومهمتها كذلك إعداد الجيل المسلم يقدر على تحمل المسؤوليات الباهظة في المستقبل لإحداث تغيير جذري في المجتمع في ضوء الإسلام.

(ج) قطاع العمال: وهو أكثر القطاعات حساسية. والمتخصص له هو الوفاق الوطني للعمال الذي يضم معظم الاتحادات العمالية في باكستان تحت شعار الإسلام والعدالة الاجتماعية. ويستهدف تحويل باكستان إلى دولة توزع الحقوق والواجبات على أساس العدل الإسلاميّ وتعطي الأجير أجره قبل أن يجف عرقه. ومن الجدير بالذكر أن مجال العمال كان مجالاً خصباً للشيوعيين واشتغلوا فيها كثيراً وضللوا

العديد من العمال. إلاّ أن الحركة الإسلاميّة بفضل توجيه الإمام المودودي رحمه الله دخلت هذا المجال وحاربت الشيوعية فيه وأنقدت الكثير من العمال من مكايدها.

(د) قطاع الفلاحين: يشكل الفلاحون نسبة ثمانين في المائة من السكان. وأنشئت لهم مؤسسة خاصة باسم مؤسسة الفلاحين تشرف على توعية الفلاحين بالإسلام ومقتضياته وتربيتهم على الحياة الإسلاميّة بجانب تبصيرهم بالوعي الزراعي وحل قضاياهم مع الجهات الرسمية وإنشاء المجتمعات الإسلاميّة في القرى والأرياف.

(هـ) قطاع رجال القانون والمحاماة: تختص بهذا القطاع مجموعة طيبة من رجال القانون والمحاماة الذين تأثروا بدعوة الإمام. ويحاولون الآن أن يستبدلوا الشريعة الإسلاميّة بالقوانين الوضعية. وبفضل جهودهم فإنك تجد أغلبية المحامين والحقوقيين يؤيدون حركة تطبيق شريعة الإسلام في باكستان.

(و) جمعية الطالبات المسلمات: هي تلعب في محيط الطالبات نفي الدور الذي تلعب به جمعية الطلبة المسلمين في أوساط الطلبة. ومن المشاهَد الملموس أن فتاةً تلتحق بكلية الطب مثلاً وهي غير متحجبة فلبست الحجاب، لا يضغط من السلطات بل بدافع من الإيمان، واتباعاً لأحكام الله ورسوله، واعتزازاً بحضارة الإسلام. فمن أين جاءها هذا الشعور بالإيمان والمسؤولية ؟ جاءها من قبل جمعية الطالبات المسلمات التي تمارس نشاطها في محيط الطالبات، وتقدم من خلال سلوكها نموذجاً صحيحاً للفتاة المسلمة.

(ز) مجمع المعارف الإسلاميّة الذي يعتني بإخراج البحوث وتربية الباحثين وتغذية الحركة بما يلزم من الغذاء الفكري والزاد العلمي.

وعلى غرار تلك الهيئات هناك منظمات أخرى في مجال الصحافة، والمهندسين، والأطباء، وموظفي الحكومة، والمشايخ، والمعاهد الدينية. وكل نشاط من تلك الأنشطة يشكل الروافد للدعوة ترفدها بالعناصر النقية والكفاءات البديعة، وتمثل

جيلاً إسلامياً شمّر عن ساقه لتطهير باكستان من عناصر الهدم والتخريب، وتحويلها إلى دولة إسلامية يشع منها نور الإسلام إلى بقاع العالم.

٤- مبدأ الأهم فالأهم: هذا المبدأ من أهم مبادئ دعوة الإمام أخذ به الإمام نفسه طول تاريخ الدعوة، وعلم تلاميذه وأتباعه بكل بسط. وانطلاقاً من هذا المبدأ خص الإمام بدعوته في البداية الطبقات المثقفة الرائدة في المجتمع، قال الإمام في خطاب له في عام **١٩٤٣**م:

(علينا قبل أن ننشئ في أوساط الجماهير حركة إسلامية شعبية أن ننتقي رجالاً يمتازون بصلابة العقيدة وسمو السلوك، ويمتازون بالكفاءات الفكرية المثالية حيث يستطيعون القيام بالمسؤولية المزدوجة من إصلاح الأفكار، وقيادة الحركة. ولذلك لا أستعجل في احتواء الجماهير في الدعوة بل أحوال استقطاب كل جهودي للتأثير في الطبقات المثقفة الرائدة واستخلاص العناصر الصالحة منها تكون هي في المستقبل قادة الشعوب وبناة الحضارة) انتهى كلام الإمام.

واستوحى الإمام كذلك من نفس المبدأ الحكيم العناية بإصلاح المصدر الرئيسي لفساد الإنسان وضلاله. وهو الحكم بغير ما أنزل الله واستبداد طائفة من الناس بالسلطة يشرعون كما يشاؤون، ويتصرفون في خلق الله على ما تمليهم أهواؤهم، فتفسد البشرية عقيدياً وخلقيا. وتبرز إلى مسرح الحياة آلهةٌ تعبد من دون الله من الفئات والمصالح والأهواء والأفكار والفلسفات. فيعود الإنسان الذي خلقه الله على فطرته وكرمه بنور العقل وفضَّله على كثير ممن خلق تفضيلاً يعود ذلك الكائن العظيم كتلة من الانحرافات والشذوذ، ويعود المجتمع الإنساني مستنقعاً من السيئات والموبقات. وتنقلب فيه المقاييس رأساً على عقب: يصبح الظلم بطولة والعدل جبناً، يصبح قول الحق أنكر الأصوات والمجاملة أحسن الآداب، تصبح الرذيلة حضارة والفضيلة همجية، يكرم الجلاوزة ويهان الودعاء، يحتل اللئيم مكانة

الصدارة ويرمى الكريم في الزنزانة، توصف سفاسف الأمور بالمبادئ والأنظمة، وتوصف شريعة الله بالتخلف والهمجية. وملخص القول أن فساد البشرية وانحراف المجتمعات وتسكع الحضارات يأتي كل ذلك من مصدر السلطة لا يخضع لوحي الله. نعم، إذا صلح ذلك المصدر صلحت الحياة البشرية. وإذا فسد ذلك المصدر فسدت الحياة حسب تعبير الإمام رحمه الله.

واستنفد الإمام المودودي وزملاؤه في الدعوة جهودهم في إصلاح ذلك المصدر: في حكمه فلا يحكم إلاّ بما أنزل الله. وفي أيديه فلا يتولى أمره إلاّ الذين آمنوا بالله ورسوله ولا يريدون في الأرض علواً ولا فسادا. فدخول الإمام المودودي بجماعته في المعارك الانتخابية واستخدامه كل الوسائل السلمية لإصلاح الحكم دون اللجوء إلى التخريب، يرجع إلى نفس المنطق.

ويحلو لي في هذا المقام أن أذكر حديثاً تاريخياً جرى بين الإمام رحمه الله وبين الرئيس محمد أيوب خان في **١٩٦٠**م بعد أن تولى أيوب خان الحكم بالانقلاب العسكري في باكستان. فقد جاء الرئيس مدينة لاهور، ودعا الإمام لمقابلته في قصر الحكم. وكان من عادة الإمام الابتعاد عن رحاب الحكام. فتردد في أول الأمر في قبول الدعوة. ثم استجاب لها مقدراً عسى أن تكون تلك المقابلة في صالح المسلمين. فرحب به أيوب خان ترحيباً حاراً، واحتفى به جميل الحفاوة، وظل يطري ثناءاً عاطراً على خدماته نحو الإسلام وقدرته البديعة على كسب الناس إلى الإسلام بأسلوبه الخلاب ومنطقه البديع وخلقه القويم ونشاطه الدؤوب. وقال في النهاية: (أيها الشيخ الفاضل أقترح عليك التفرغ للدعوة والتبليغ دون التورط في أوحال السياسة وتدنيس الأذيال فيها. لعل بذلك تكون أكثر نفعاً لقومك ووطنك). فرد عليه الإمام قائلاً -بكل هدوء ولطف-: (كما تفضلت يا سيادة الرئيس إنّ السياسة أصبحت

أوحالاً فدخلتها لأطهرها من الأوساخ، وأجعلها نظيفة سديدة لا تدنس الأذيال بل تعود رحمة على الوطن وأهله).

٥- القدرة قبل الكلمة: هذا هو المبدأ الخامس من مبادئ دعوة الإمام، والمراد من ذلك أن الداعية تجسد الدعوة في شخصيتها قبل أن يخرج لها إلى غيره. وأن تكون الجماعة المؤمنة بها في جميع ما تقوم به من الأعمال، وتخطو من الخطوات، وتحقق من المشاريع مثلاً حيّاً للناس قبل أن تدعوهم إليها. وحسب قول الإمام: لا تنقص الأمة الإسلاميّة كلمات عن الإسلام متلألئة، وأحاديث في الخلق ممتعة، وبحوث عن حكمة الدين تضحك على اللؤلؤ والمرجان، وحكاياتٌ عن أبطال الإسلام تأخذ باللب والجنان. وإنّما تنقصها النماذج الحية للمثل العليا، ينقصها رجالٌ جسدوا في حياتهم تلك الكلمات، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وتنقصها جماعات تصدق أعمالها دعاويها فلا ينطبق عليها قول الله عزَّ وجلّ: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢].

وانطلاقاً من هذا المبدأ أنشأت الجماعة برعاية الإمام العديد من المستوصفات والمستشفيات يُوزع منها العلاج على الفقراء والمساكين مجاناً بلغ عددها أكثر من ثمانين مستوصف ومستشفى، وأنشأت دور الأيتام في أنحاء البلاد، واعتنت بالمستضعفين والأرامل. وتشمر عن ساقها حينما تحل بالبلاد الكوارث والنكبات من الزلازل والفيضانات والصدامات. والحديث في ذلك يطول. وإليكم آخر مثال لخدمات الجماعة في هذا المجال: إنها استقطبت هذه الأيام جميع العاملين لها وسائر ما تملك من الإمكانيات لخدمة اللاجئين من أفغانستان، وقد جاوز عددهم ستمائة ألف نفر. فأنشأت الجماعة على طول الحدود بدءاً من الحدود الباكستانية الصينية في الشمال إلى آخر الحدود الباكستانية الإيرانية في الغرب مراكز إنقاذ اللاجئين ومساعدتهم بما

يحتاجون إليه من خيام وكساء وأكل ودواء. وعدد تلك المراكز خمسة وأربعون مركزاً، وعدد الوحدات الطبية ثماني عشرة وحدة، ومستشفى للاجئين في مدينة بشاور، ومستشفى لهم في مدينة كويتة. وكذلك العشرات من المدارس لتعليم أولاد اللاجئين. وتشتغل الجماعة في هذا المجال تطبيقاً لمبدأ القدوة قبل الكلمة. أو الكلمة المقرونة بالقدوة.

المدرسة الثالثة
مدرسة الامام محمد الغزالي

مولده ونشأته:

مولده: ولد الشيخ محمد الغزالي أحمد السقا، في **٥** ذي الحجة سنة **١٣٣٥** هجرية الموافق **٢٢** سبتمبر **١٩١٧** م، ويقول الشيخ محمد الغزالي عن والده: (كان يحب شيخ الإسلام أبا حامد الغزالي وكان عاشقا للتصوف يحترم رجاله ويختار من مسالكهم ما يشاء، لأنه كان حافظا للقرآن جيد الفهم لنصوصه، ويروي أبي لأصدقاء الأسرة أن تسميتي(محمد الغزالي) جاءت عقب رؤية مناميه وبإيحاء من أبي حامد رحمه الله وأيا ما كان الأمر فإن التسمية اقترنت بشخصي، ولكنها لم تؤثر في تفكيري فأنا انتفع من تراث أبي حامد الغزالي صاحب (تهافت الفلاسفة) كما انتفع من تراث خصمه ابن رشد صاحب (تهافت التهافت) وإذا كان الغزالي يحمل دماغ فيلسوف وابن تيمية يحمل رأس فقيه فإني أعتبر نفسي تلميذا لمدرسة الفلسفة والفقه معا)

نشأته: نشأ الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في بيئة متدينة، بين إخوة سبعة وكان هو أكبرهم، ووالده كان تاجرا صالحا وهو الذي وجه ابنه الغزالي إلي حفظ القرآن الكريم، يقول: الشيخ محمد الغزالي عن والده: (بل إن من فضله عليَّ أن باع مايملك لكي يذهب بي، وأذهب معه إلي أقرب مدينة يقع فيها معهد أزهري حيث هاجر من قريته (تكلا العنب)

بمحافظة البحيرة إلي الإسكندرية، كي انتسب إلي الأزهر وعمري عشر سنوات، وطفولتي كانت عادية ليس فيها شيء مثير، وإن كان يميزها حب القراءة، فقد كنت أقرأ كل شيء ولم يكن هناك علم معين، بل كنت أقرأ وأنا أتحدث، وأقرأ وأتناول الطعام)

وفاته: انتقل إلي رحمة الله وترك للعالم الإسلامي والعربي مكتبة ضخمة من الكتب الفكرية، والدراسات الدعوية التي يجد فيها الناس والدعاة بشكل خاص الفائدة الفكرية والمتعة الوجدانية في كتب الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالي وادخله فسيح جناته آمين، توفي الشيخ رحمه الله في **٢٠** شوال **١٤١٦**هـ الموافق **٩** مارس **١٩٩٦**م في المملكة العربية السعودية أثناء مشاركته في مؤتمر حول الإسلام وتحديات العصر الذي نظمه الحرس الوطني في فعالياته الثقافية السنوية المعروفة ب

(المهرجان الوطني للتراث والثقافة) ودفن رحمه الله بمقبرة صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم في البقيع بالمدينة المنورة، وكان قبلها صرح بأن أمنيته أن يدفن في البقيع،

وتحقق له ما تمنى نسأل الله لنا وله الفردوس الأعلى في جنات النعيم.

الأساليب التي انتهجها في دعوته:

إن الحديث عن تجربة الشيخ محمد الغزالي الواسعة في مجال الدعوة وأساليبها: أمرقد تستوعبه أكثر من دراسة علمية متخصصة ولا يكفي في حصر أساليب الشيخ رحمه الله هذا البحث المتواضع، وأذكر بعض خصائص الأسلوب عند الشيخ رحمه الله التي ميزت طريقته في التعبير عن قضايا الفكر الإسلامي المختلفة، وجعلت كتاباته لها مذاق خاص، وطابع فريد بين كتابات الدعاة في هذا العصر الحديث، إن مما تنبغي الإشارة إليه أن الشيخ رحمه الله تعالي كان متأثرا تأثيرا كبيرا بأسلوب القرآن الكريم فقد كان يتلوه آناء الليل وأطراف النهار، وكان يتحري دائما طرقه في دعوة الناس، ولقد كان ذلك سر جمال أسلوبه، ولطافت تعبيره، ومن الخصائص الأساسية المميزة لأسلوبه ما يلي:.

١: الأسلوب الأدبي: هو الأسلوب المفضل في كتابات الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، فهو يفضل عرض الأفكار بلغة أدبية مؤثرة، فيها عناصر الإقناع والإمتاع، ويسير علي هذه الطريقة في جل ما يكتب، ولا يستخدم الطريق السردية المباشرة إلا نادرا، وذلك لشد عقول القراء وقلوبهم إلي الأفكار التي ينوي غرسها في النفوس .

٢: يتميز أسلوبه بكثرة استخدام الصور الفنية، والأمثال المحسوسة ذلك لتقريب الأفكار إلي النفوس وعرضها في قوالب حية قريبة التناول، وواضح أن الشيخ محمد الغزالي رحمه الله قد استمد هذه الطريقة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية الشريفة.

٣: يمتاز أسلوبه أيضا بالتنويع المشوق، فهو يلون حديثه ويكثر من الأساليب التي لها قدرة علي التأثير كالاستفهام والتوكيد والتعجب، ويستخدم القصة استخداما جيدا، وكثيرا ما يتمثل بحوادث من الواقع، لتكون أبلغ في التأثير، وأكثر التصاقا بالقضايا المثارة في هذا العصر.

٤: من أساليبه استخدام فقه الأولويات والاهتمام به.

٥: ومن أساليبه استخدام الترادفات، أي أداء المعني الواحد بأساليب متعددة بهدف تأكيد المعني وترسيخه، كما أنه يزيد من امتداد جاذبية الأسلوب .

٦: ومن أساليبه: تجسيم المعنويات أي إبراز المعنوي في صورة حسية

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:

ومن ثم فإن الداعية الموفق الناجح هو الذي يهدي إلى الحق بعمله وإن لم ينطق بكلمة، لأنه مثلٌ حيٌّ متحرك للمبادئ التي يعتنقها.

وقد شكا الناس في القديم والحديث من دعاة يحسنون القول ويسيئون الفعل!!

والواقع أن شكوى الناس من هؤلاء يجب أن تسبقها شكوى الأديان والمذاهب منهم، لأن تناقض فعلهم وقولهم أخطر شغب يمس قضايا الإيمان ويصيبها في الصميم.

ولا يكفي. لكي يكون المرء قدوة. أن يتظاهر بالصالحات أو يتجمل للأعين الباحثة، فإن التزوير لا يصلح في ذلك الميدان، ولابد أن ينكشف المخبوء على طول المعاملة وامتداد الزمن وتمحيص الأحداث.

وسرعان ما يبدو معدن النفس على الحقيقة العارية...

ذلك أن النفس المتحركة بروح الإيمان كالآلة الدائرة بما يعمر خزانها من وقود، أما النفس المحرومة من هذا الروح فهي كالآلة التي تدفع باليد حيناً ثم لا يلبث أن يغلبها العطل والعطب فتتوقف وتسكن...

والمصيبة الطامَّة أن بعض المنافقين يحسبون أن تمثيل دور الإيمان لا يحتاج إلا إلى شيء من التكلف والمصانعة، كما أن بعض المتهاونين يحسبون أن لباس التقوى يمكن نسجه بشيء من إدمان الرسوم وإتقان الهمهمة.

وهذا ضلال بعيد فالأمر أخطر ممَّا يظنون.

إنَّ التديُّن الحقيقي صورة لجوهر النفس بعدما استكانت لله تعالى ونزلت على أمره، واصطبغت بالفضائل التي شرعها، وترفعت عن الرذائل التي حرمها، واستقامت على ذلك استقامة تامة.

هذا التدين وحده هو الذي تلتمس منه الأسوة ويقتبس منه الهدى، ويؤسفني أن أقول: إن هذا الضرب من التدين العالي نادر الآن، وأن أشعة الكمال المنبعثة من وهجه لا تكاد ترى.

بل إن نفراً من الناس الذين لا ينميهم دين أقرب إلى المسلك الصحيح، وأجدر بالقوامة على شتى الوظائف من آخرين انتسبوا إلى الدين، وحملوا عنوانه دون اصطباغ به وتشرب لروحه...!

وعندما ينكب الدين بأقوام كثيرين على هذا الغرر، فالمجال واسع لشيوع الإلحاد وانتشار المعصية والعدوان.

قال لي صديق: إنَّ فلاناً (الأوروبي) إذا وكلت إليه مهمة خرجت من بين يديه متقنة الأداء ظاهرة الجودة، أما فلان الذي يكثر الصلاة فقلما يريحني في إحسان عمل أو أداء واجب...!

لقد جزعت لهذه المقابلة بين الشخصين، ولم يسوؤني منها أنها باطل. إذ هي أحياناً حق. وإنما ساءني منها أن ذلك (المتدين الكسول) دعاية شنيعة ضد الصلاة، إنها القدوة الرديئة تعمل عملها ضد المثل الرفيعة والمبادئ الفاضلة...!

وقد لاحظت أن الأجنبي. في أغلب الأحيان. يرى خدشاً لكرامته، وطعناً في كيانه أن يصدر العمل عنه ناقصاً، فهو يجوده احتراماً لنفسه، وصيانة لشخصه.

على حين تجد مواطناً ينتمي إلى الدين. كما يزعم. ثم هو يقوم بالعمل على أسوأ الوجوه، ويبسط لسانه بالجدل الطويل في تسويفه وإقناع الآخرين بقبوله...!

ولعلنا لم ننس قصة المهندس الذي أشرف على بناء جسر السلطان أبي العلاء، وكان أجنبياً، فإنه لما رأى عمله لم يصل إلى درجة الكمال التي ينشدها، رمى بنفسه من فوق الجسر العالي، فهوى بين أمواج النيل، وكاد اليم يبتلعه لولا إسعاف المنقذين.

لقد أحس غضاضة من أن يعيش بعدما فشل في إحسان العمل الذي كلف به...

وإنما أثبت هذه القصة لأني أعرف أناساً مثله، وقعوا في شر من تفريطه وخرج العمل من بين أيديهم مبتوراً مشوهاً، فلما عوتبوا شرع كل منهم يتنصل ويعتذر أو يهز كتفيه ملقياً التبعة على غيره...

ولعله بعد ذلك جلس إلى مكتبه يجرع القهوة في كبرياء!

أيصلح هؤلاء أمثلة للإسلام؟؟

قل لي بالله: كيف يهوي سلوك الفرد منا إلى هذا الحد ثم ينتظر أن يحترم الناس الإسلام ويُقبِلوا عليه؟

إن الدعوة إلى الإسلام تكون أولاً بعرض ثماره في الأخلاق والأحوال، أعني: ثماره في أتباعه المؤمنين به، ويومئذ ترجى الإجابة، ويرتقب الاهتداء.

ولنعد إلى أسباب انتشار الإسلام أيام السلف الصالحين...

إن (خلق) الدولة، وصلاح أنظمتها وكفالتها أكبر حظ من العدالة والسعادة للأفراد، كان الباعث الأعظم على دخول الناس في دين الله أفواجاً، وقبولهم عن طيب خاطر الانضواء تحت راية الإسلام.

بل غبطتهم لأن دائرة هذا الدين بلغت من الرحابة حداً جعلتهم يأوون إليها وهم وافرون أعزاء...

حتى أيام اضطراب أجهزة الحكم في الدولة الإسلامية وقصورها، عن التحليق مع المثل الرفيعة التي نشدها الإسلام في اختيار الحكام.

إن هذا القصور لم يقدح في مدى الخير الذي يحرزه الناس تحت علم الدولة الجديدة!! ذلك أنه أعلى درجة ألف مرة من الخير الذي رأوه في ظل أكاسرة فارس وقياصرة روم.

وحين نتابع أوصاف المسلمين الفاتحين. كما شرحها بعض المنصفين من المستشرقين. نجد أن الجماهير رمقت حملة العقيدة الظافرة بشيء من الدهشة، ورأت فيهم نماذج خلابة للفضل والعدل، فلم يمكثوا غير قليل حتى زاحموهم عليها!!

أجل: زاحموهم عليها، ونافسوهم فيها، واعتنقوها ليعملوا بها مثل أو أجل من أصحابها الذين نقلوها، مصداق قول الرسول الكريم: (رب مبلغ أوعى من سامع) (رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه).

الإعجاب بالإسلام في أحوال الفرد. والإعجاب بالإسلام في أحوال الدولة، هو وحده السبب الفعَّال في تزاحم الخاصَّة والعامَّة على هذا الإسلام، وارتضائهم له...

والإعجاب لا ينبت في النفس خبط عشواء.

أتظن العقول النضرة تعجب بالعقول الخرفة؟!!

أتظن الأخلاق الرضيَّة تعجب بالأخلاق الرديئة؟!!

أتظن المتقدم في تفكيره ومشاعره يعجب بالمتخلف في هذه وتلك؟ كلا...كلا...

إن المسلمين استحقوا أن يتأسى الناس بهم، وأن ينسجوا على منوالهم، وأن يقلدوهم في أقوالهم وأعمالهم، وأن يهجروا لغاتهم الأصلية إلى اللغة العربية الوافدة؛ لأن المسلمين كانوا يمثلون في العالم نهضة مجدِّدة راشدة مسعدة.

والمعجب بك قد يذوب فيك، وذلكم هو ما حدث في (المستعمرات) التابعة للشرق والغرب، أعني: لفارس والروم، يوم زحف عليها الإسلام، وانساب في جنباتها.

إن من الغباء البالغ أن تنتظر أحداً يؤمن بك عقب انتصار في معركة جدل، أو انتصار في ميدان حرب. إن المقهور في أحد الميدانين قد يستسلم راضياً أو ساخطاً. يبد أنه لن يتبعك عن إخلاص، ولن يشاركك الشعور والفكر أبداً. من ثم نرى لزاماً علينا التوكيد بأن القدوة وحدها، وما يبعث على الاقتداء من إعزاز وإعجاب، هما السبيل الممهدة لنشر الدعوة في أوسع نطاق.. (الإسلام يريد رجلاً جيّاش العاطفة بالعطاء، صادق الحس بآلام الغير، ينطلق كالسهم في تفريجها دون توقُّف، ولو كان يتعامل مع غير أبناء دينه، إن النبع السيّال لا يحبس بره عن محتاج)

وبعيدا أيضا عن أي قراءة تبريرية للواقع تجعل الدين طبلا يدق في مواكب المستبدين (لا دين حيث لا حرية)

(إذا كان الدين مخدراً للشعوب في بعض الأقطار، فالدين في بلاد الإسلام منبِّه للشعوب وحاث لها على مقاومة الظلم، وإشاعة العدل، وتعميم الرحمة، ومنع الجوع، واستنكار البطنة والترف)

وبعيدا عن كل مثقف ارتضى أن يحول خطاب التغيير إلى جدل عقيم ليس من ورائه إلا التنظير والثرثرة والتزيين اللفظي (صناعة الكلام تجعل أصحابها يهتمون بالبديع والزخارف أكثر مما يهتمون بالحقائق)، (كل تديُّن يجافي العلم، ويخاصم الفكر، ويرفض عقد صلح شريف مع الحياة هو تديُّن فقد كل صلاحيته للبقاء) وأخيرا بعيدا عن سلطة الحكومات السياسية المستبدة التي بتنا نشفق عليها وصارت هي أقرب إلى مرأى الآخرين أو الغزاة الجدد أكثر من الرجل العادي وبدوا بعد ظهور وجه الخيبة والذل صدام وإسهامه في دحرجة أوضاع الأمة، يتحسبون حتى لطنين الذباب (إن الإسلام كما الليبرالية كما الديمقراطية يقفون ضد الاستبداد ويعلون من شأن الإنسان، حقوقه وحرياته.

وقد تجسد موقف الإسلام التحديثي عندما وجه الشيخ محمد الغزالي أسهم النقد الشديد للدستور الذي وضعه تقي الدين لنبهاني مؤسس حزب التحرير والذي يدعو إلى استعادة الخلافة على أساس أقرب إلى نمط الحكم القائم على البيعة وأهل الحل والعقد والشورى المعلمة وليست الملزمة الخ ومدح الشيخ محمد الغزالي دستور **١٩٢٣** م المأخوذ عن الدستور البلجيكي على حد تعبيره على الرغم من أنه لم يكن مليئا بالآيات والأحاديث مثلما كان الحال في دستور لنبهاني. وكان تعليق الشيخ الغزالي أن الدستور البلجيكي أقرب إلى روح الإسلام وجوهره من مقاومة الحاكم

المستبد ورقابته من الدستور الذي يبدو شكلا إسلاميا، لكنه في جوهره يتناقض مع روح الإسلام)

إن الرؤية للغزالي ليست عابثة وعابرة وإنما بداية اجتهادات مستنيرة ووثابة تدعو إلى المزيد من التعقل والتفكر والتدبر.

إذا لعناية الفائقة كانت عند الغزالي للحقائق والتأكيد على فرائض لابد منها وكذلك نفي النزعات المتطرفة التي تجعل من الآخر سبب البلاء وتغض الطرف عن القصور الذاتي إنها المناحي التي أكد عليها الإمام محمد الغزالي: (كل ما أطلبه من المسلمين:

أولاً: أن يوفوا بعهودهم لمَن لا يدين دينهم!!

ثانياً: أن يتشبّثوا إلى آخر رمق بكل شعبة من شعب الإيمان، وكل حد من حدود الإسلام، وكل حكم من أحكام الله وكل معلّم من معالم الشريعة، فإن العالم المتنمّر ضدنا يتهامس فيما بينه، يقول: لقد عاش الإسلام أربعة عشر قرناً، حسبه هذا، يجب أن نجهز عليه!!

إنني أنذر حتى يعلم المسلمون أن معيشتهم في يوم الناس هذا، وفي الغد القريب والبعيد ستكون معيشة كدح، وكفاح، ودفاع عن تعاليم الإسلام أمام مؤامرات لينقصها الذكاء ولا المهارة!! إننا نحن المسلمون نعيش أحياناً تستبد بنا الأوهام والأحلام والسذاجة التي تبلغ حد الغفلة!! وإذا كان القانون المحلي لا يحمي المغفلين، فإن القانون العالمي لا يحمي المغفلين أيضاً!! ألا فلتستيقظ أمتنا ولتؤدِّ واجبها نحو كتاب ربها وسنّة نبيها صلى الله عليه وسلم

إنها رؤية مصلح عاش لأمته ودينه بين الثلاثية الرائدة المؤمنة المبدعة (عقل فيلسوف، وقلب ناسك، ويراع أديب) وفيما يلي بعض القواعد الدعوية التي يتوجب على الدعاة تلمسها أو التفكير بها والعمل بمقتضاها

القاعدة الأولى لأساليب الدعوة: الدعوة السليمة:

مهما يكن من تبريرات حول قيام العمل المسلح أو تسويغ حمله داخل المجتمع العربي وحتى مع المختلف معه فإن الشيخ الإمام الغزالي أكد أنه لا حاجة للعصا، فالمصائر التي آل إليها العمل الإسلامي بسبب تهور وتذمر وتسرع بعض قياداته أدت إلى الويلات، وأدخلتنا في متاهات الدم والانتقام، كما أن (الإسلام دين أساسه عقلي فطري، يجد طريقه ميسَّراً إلى القلوب، ممهداً إلى أولي الألباب.

التوحيد لا يحتاج إلى عصاً تلهب الجلود كي يقتنع الناس به..

العبادات السمحة، والأخلاق الذاكية، والمعاملات العادلة، والشرائع الضابطة لأفضل المُثل، وأشرف التقاليد، ذلك كله ما يحتاج إلا إلى دعوة هادئة، وإقناع مجرّد.

ربما يحتاج التفكير الذي يرفضه العقل، أو المذهب الذي يأباه الطبع، وتكرهه الفطرة، ربما احتاج هذا وذاك إلى العنف لينتشر. لكن الإسلام لا يحتاج إلى العنف، إنما يحتاج إلى فاهم له، وإلى سامع لا غش في قلبه، ولا هوى في ضميره، فإذا تيسّر هذا وذاك فما يحتاج الإسلام بته إلى العنف.

بل نقول أكثر من ذلك، نقول: إن رسالات السماء التي بدأت مسيرتها على الأرض ما لجأت إلى العنف في إقرار العبودية لله الواحد، وفي حشد الناس على صراطه المستقيم).

القاعدة الثانية لأساليب الدعوة: الداعية الذكي:

يعتقد محمد الغزالي أن مفاهيم الحكمة والوعي هي الملهم الرئيس للداعية المسلم كما أنه الحرية في تبليغ الدعوة هي المناخ الأنسب لنشر الدين وأنه كلما كان أفق الدعاة متنورا ورحبا وتجاوز ثقافة التدين الشعبي التي تدافع عن مفردات الموت والظلام أو فقه الخلاص الشخصي إلى مفاهيم ومقاصد الدين الرحبة التي تقوم على ترابط الدين والدنيا كلما حقق إنجازات رائعة وكان أقرب إلى روح الإسلام،يقول الإمام محمد

الغزالي: (اعتمد الدين في شرح مفهومه وبلوغ غايته على دعاة لهم لب ناضج، وقلب سليم. واحتاجت البيئة إلى أن تخلو من السدود العائقة، والطواغيت المستبدّة. عندما يكون صوت العقل لا حجاب أمامه ولا عائق، فإن الإسلام ينتشر وينتصر). أريد أن أمشي في طريقي وأبقى مستجمعاً أمرين:

الأمر الأول: الجهاز العاقل الواعي الذي يعرض الدعوة بقدرة عقلية على أولي الألباب في كل زمان ومكان، هذا الجهاز لا بد منه لأنه أساسي الذي أقوم عليه، هذا الجهاز – جهاز الدعوة – الذي يدرس العالم كله وما يسوده من فلسفات، وما ينتشر فيه من أفكار، ويكون الجهاز قديراً على قياس مسافات القرب والبعد من العقيدة التي أدعو إليها، والشريعة التي أحكم بها. هذا جهاز لا بد من استبقائه وتنميته وتغذيته علميا بما يعينه على أداء رسالته.

الأمر الثاني: لا بد من جهاز آخر يقوم على المقاومة السلمية لعوامل الفتنة التي تآمرت قوى العالم الشريرة على أن تعترضني بها أحب وأنا أنظر إلى التاريخ أن أكون واقعياً، وأنا أواجه الآخرين الآن)

القاعدة الثالثة: لأساليب الدعوة: استصحاب معية الله ورقابته وعزة التدين

الفيتامين الأساسي للمسلم بشكل عام والداعية بشكل خاص هو استصحاب رقابة الله واستحضار معيته ذلك أن للوجدان الرطب بذكر الله وللمعية الربانية قوة دافعة ونورا في حياة الدعاة يقول الإمام محمد الغزالي:

(إذا لم يكن التديُّن صانعاً لخلق يحكم الهوى، وإذا لم يكن التديُّن صانعاً لعاطفة رقيقة تجعل المرء يحني رأسه وصلبه لربه، ويشعر بضعفه فيستغفر ذنبه، وينهض في الهجعات الساكنة كي يرقق روحه بمناجاة الله وطلب خيره، إذا لم يكن التديُّن صانعاً لهذه المعاني فهو تديُّن شكلي لا خير فيه)!!

القاعدة الرابعة: لأساليب الدعوة: قرآنية التدريس والمناهج

في التربية الدعوية تصاب بعض المدارس النشطة بفقدان الأولويات فيعطى للفقه مثلا أولوية على حساب السنة وعلومها أو للسنة أسبقية على القرآن وتدبره وقد صرح الغزالي في أكثر من موضع على ضرورة الاهتمام بالقرآن أولا تدبرا وفهما فالقرآن حسب تعبير الغزالي: (كتاب تذكير إذا نسي الفكر، وكتاب إيقاظ إذا نام القلب، وكتاب تسديد على الطريق إذا اعوجت الخطى وزاغ الإنسان عن سواء السبيل).

ويبقى السؤال متى تعطي المدارس الدعوية القرآن الكريم أولوية الأولويات ؟ وكيف نتعامل مع القرآن تدبرا وفهما وإسقاطا على الواقع بذكاء وروية ؟!

القاعدة الخامسة: لأساليب الدعوة: المرأة أولا وأخيرا

السؤال الذي ينبغي أن يجاب عليه بصراحة مادام الإسلام أنصف المرأة وصانها فلم هذا الخروج الواضح على تعاليمه من قبل الكثير من النساء ؟ لم اسنح بالتدين من ميادين المرأة أو تحول التدين في حياتها إلى شكل بلا مضمون ؟

في تقديري أن بيئة الإسلام وخلطه بالقصور الاجتماعي وكذلك مزج الإسلام بالعادات الشعبية أدى إلى تحويله إلى بعبع يخيف النساء وتحول إلى غسار بعد كان سوارا آمانا للمرأة بحاجة إلى نهضة نسائية رشيدة، لم؟ لأن هناك بعض المتدينين لا يعقلون قضايا المرأة، وينظرون فيها بحماقة، وقلّة فقه، ولو وُكِّل الأمر إليهم لحبسوا النساء في البيوت، فلا عبادة، ولا علم، ولا عقل، ولا فكر، ولا نشاط، ولا شيء!! هذا النوع من المتدينين الجهَلة ينبغي أن يُحرم من الكلام باسم الله!!

النهضة النسائية الرشيدة تحتاج إلى أن يطرد نوع آخر من المتحدثين في قضايا المرأة وهم عبيد أوربا الذين يريدون إشاعة الخنا في بلادنا، والذين لا يعنيهم أمر العفّة ولا أمر الأسرة، ولا يبالون أن ينقلوا ما هنالك بعمى غريب!!

ومع أن الأسر في أوربا أسر على ورق، ومع أن الغرائز الجنسية جعلت الأعراض كلاً مباحاً، مع هذا كله، فإن مَن أعمى الله بصائرهم وأبصارهم من النساء والرجال، يريدون نقل هذه الحضارة إلى بلادنا!!.

لا أريد، لا تديُّن الحمقى الذين لا فقه لهم، ولا أغلال الكذَبة الذين لا شرف لهم ولا عرض !!

ما نحتاجه اليوم حقا هو فكر يسبق فكر هذا الرجل المصلح العملاق فكر يحيا باسم الإسلام ويدافع عن الناس بغض النظر عن معتقداتهم ويرتقي بالخطاب الديني إلى مستوى العصر والراهن. ولأن أسلوب الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: هو أسلوب متفرد، وأداءه للدعوة عجيب، وصوته الجهير، ونبرته المميزة التي ليكاد يختلف اثنان من متذوقين دعوته علي أنها صادرة منه ن وكأن هذا الأسلوب السهل الممتنع كما قرأنا في كتبه علي أن نصف الأساليب الدعوية التي تعرف طريقها إلي القلوب والأسماع بيسر، لأن الشيخ محمد الغزالي: غرف هذه الأساليب من بحر القرآن الذي حفظه وهو في سن العاشرة من عمره فرحمه الله تعالي وأدخله فسيح جنته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والشيخ الغزالي رحمه الله تعالي: يعيب علي بعض الدعاة بل وينال منهم في أسلوبهم الدعوي الخشن، وهو في هذا كثير السخرية، وله عبارات لاذعة وليس هدفه منها التعالي أو الغطرسة، وإنما لعدم سلوك هؤلاء الدعاة الأسلوب اللين والرفق بالمدعو امتثالا لأمر الله ورسوله. قال الشيخ محمد الغزالي:

(... سمعت يوما إحدى خطب الجمعة فقلت لصاحبي: لو أن أحدا نقل هذه الخطبة على أنها من مواعظ القرن الخامس أو السادس ما أنكر عليه أحد... قال: وما الذي يجعل الدعاة والواعظين يفرون من مواجهة هذا العصر؟ قلت: مزيج من الخوف والقصور، الخوف من الحكام، والقصور عن البلاغ الشافي.. وسمعت خطيبا يهدر

وكأنما ثكل أبنه، لأن الناس اعتدوا على شعر اللحية لا ريب أن اللحية من سنن الفطرة ولكن هذا الخطيب لم ينس ببنت شفة عندما قتل نحو عشرين ألف مسلم فى زنجبار، وسكت هو وغيره سكوتاً مطبقاً.. لماذا؟ لأن وعيهم بالإسلام وحقيقته وقضايا أمته محصور فى نطاق خاص)

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:

إن العقل عند هؤلاء متهم حتى تثبت براءته، والقياس الصريح مؤخر عن الأثر الضعيف، والمصالح المرسلة مذهب مردود على أصحابه، والسيف لا الإقناع أساس نشر الدعوة! وملابس البادية إمارة على التقوى، أما الأزياء الأخرى فإن لم تدل على التحلل فهي موضع ريبة. وعدم البصر لا غض البصر أساس العلاقة بين الجنسين! وجعل الجلباب إلى نصف الساق! والصلاة فى النعال ما أمكن! والأكل بثلاث أصابع بعد الجلوس أرضا على نحو معين! وقلما يعرف هؤلاء شيئا عن ضوابط الحكومة العادلة، ولو سألتهم لعادوا يبحثون فى التاريخ عن أساليب الحكم فى الكوفة أو بلح ليعطوا صورة شرعية للحكم المطلوب..!! إنني أصادف هذه المناظر المؤذية فى طريق الدعوة فأشعر بالنكد، وآخر ما لقيت من هؤلاء شاب يقول لي: أليس فى الالتحاق بالجيش شيء من الوثنية؟ قلت: ويحك كيف!! قال – فض الله فاه: إنهم يحيون العلم كل يوم وهذه وثنية..!! هؤلاء المرضى مع ديننا المظلوم يشبهون الزمان المدبر الذي قال البحتري فيه:

وكأن الزمان أصبح محمولا **هواه مع الأخص تساءلت: هل وراء هؤلاء أحد يكيد للإسلام؟ فقد ظهروا بغتة فى عدة أقطار متباعدة. وجاءني الجواب على غير انتظار.. فقد كنت أحاضر فى مدينة "المنيا" وعقب المحاضرة رأيت أن أنصرف مسرعا لأني كنت متعبا، ولكن شابا ألح على أن أنتظر لأجيب عن سؤال أثار بعض البلبلة، واضطررت للانتظار، فإذا السؤال المعروض عن حكم "الخل"!! وعقدت

لساني الدهشة! حكم ماذا؟ قالوا حكم الخل! قل: ماذا جرى للخل؟ قالوا نسأل عن حله أو حرمته! قلت وأنا ضجر: حلال! فرد أحد المقرعين: الدليل؟ قلت الأصل الحل، ومن زعم الحرمة فهو المطالب بالدليل، وتركت المكان وأنا أتعجب... وشاء الله أن أسافر إلى أبى ظبي وأن أخطب الجمعة فى مسجد حاشد، وعقب الخطبة تلقيت أسئلة مكتوبة لأجيب عنها، وإذا بسؤال يتصدرها عن حكم "الخل" ! قلت للمصلين: هذا السؤال مكتوب فى عاصمة أجنبية، أشرف على وضعه

أن فقه العبادات متحرك إلا أن الخلافات فيه تشير إلى عوج عقلي ينفر المتدينين من المسالك الدينية جملة. أفهم شخصياً أن يثور جدل حول سدل اليدين أو قبضهما فى الصلاة، وحول الوضوء من أكل لحم الإبل أو عدمه.. لكن الإنس والجن لا يفهمون لماذا تكون هذه الأمور التوافه مثار معارك طاحنة وتغاضب شديد.. كنت أسير فى أحد شوارع القاهرة فوجدت مبنى لبعثة إيطالية تدرب أبناءنا على صنع الأحذية... قلت لنفسي: حتى فى هذا الميدان نحتاج إلى تدريب ثم وثب بذهني خيال دعاة يريدون نشر الإسلام بالسيف فقلت لهم فى الخيال: حاربوا حفاءكم أولا، ثم تواضعوا لله، وتعلموا دينكم ممن هو أبصر منكم بأصول الدين، وفروعه، ووسائله، وغاياته، إنكم عبء على دين الله ودنيا الناس..

*إن بعض الذين ضاقوا بالانحرافات المعاصرة فى العالم الإسلامي فكروا فى العودة إلى الأمس القريب، أو إلى بضعة قرون مضت! فقلت: لا مثلنا الأعلى فى القرن الأول وحده، ففي الحديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "أنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ". والاقتداء بداهة ليس فى ركوب الخيل والإبل، والحرب بالسيف والرمح! الاقتداء فى التجرد والخشية وإيثار الآخرة!! أما تأمين

الحقيقة فقد استحدثت له وسائل مدنية وعسكرية لا حصر لها، ويجب على حملة الرسالة إتقان هذه الوسائل..

*وأعرف الآن نساء يقمن بعمل رحب فى خدمة بيوت الطالبات، و إنشاء المؤسسات الصحية والثقافية.. فى مقدمتهن السيدة الجليلة "زهيرة عابدين" الأستاذة بكلية الطب جامعة القاهرة.. وقد استعانت بى فى فتوى متواضعة لتمنع متخرجة فى كلية الصيدلة من القعود فى البيت والارتزاق من آلة الخياطة.. لأن أحد المشايخ قال لها: "إن المرأة لا يجوز أن ترى أحدا أو يراها أحد!". قلت لها: هذه فتوى مخبول لا يعرف الإسلام.. بل هو وأمثاله قرة عين لأعداء الإسلام.. فلا يحرم الإسلام على المرأة أن تبيع وتشترى. وأن تتعامل مع الناس، ما دامت مستترة فى زيها الإسلامي متأدبة بآداب الإسلام، غير متبرجة بزينة.. تحفظ نفسها وعرضها من الذئاب.

ومن أساليب الشيخ في تصحيح المفاهيم تجاه بعض الأحاديث النبوية أن يسوقها في حوار مثير يشد انتباه السامع ويعلق من فوره بالأذهان وهو أسلوب أدبي رفيع يجعل القارئ وكأنه أمام المشهد فمن هذه الحوارات قوله: *كنا ضيوفا عند أحد الناس. فسكب فى يدي قطرات من ماء لكولونيا.. فإذا أحد الدعاة يصرخ: "حرام! نجس!" فقلت له: دعني ورأيي، إن مالكا. رضي الله عنه. يرى ريق الكلب وعرقه طاهرين.. ويراهما غيره نجسين. فلنتعاون فيما اتفقنا عليه.. ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه. فقال: اليد التي بها (كولونيا) نجسة، وتحرم مصافحتها! وعلمت أنى أحدث من لا يستحق المحادثة.. علمت أنى أمام امرئ مسعور!.

*ورأيت طالبا فى القاهرة يريد أن يدخل كلية الطب بجلباب وقلنسوة.. وسألته: لم هذا الشذوذ؟ قال: لا أتشبه بالكفار فى ارتداء البدلة الفرنجة.. قلت: التشبه الممنوع يكمن فى انحلال الشخصية، وإعلان التبعية النفسية والفكرية لغيرنا، ولقد لبس الرسول صلى الله عليه وسلم جبة رومية كانت ضيقة الأكمام.. فلما أراد الوضوء

أخرج ذراعيه أسفل.. ولكن الطالب الأحمق أبى وترك الدراسة الجامعية. نماذج من سوء الفهم وكنا يوما فى حفل جامع وكنت ألقى محاضرات "ذات بال" فى موضوع خطير.. ورأى أحد الصحافيين التقاط صورة للجمع الحاشد.. ولكن الداعية نهض يمنع التصوير، فلما أصر الصحافي علي المضي في عمله اتجه الداعي إلي الآلة ليكسرها وجاءني الواعظ الغيور يسألني: لماذا لم تمنع التصوير؟ قلت: لأني أراه مباحا. قال: ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن أشد الناس عذابا المصورون"؟. قلت: إنه يعنى صانعي التماثيل للعبادة.. ولا يتصور أن يكون هذا الصحافي أشد عذابا من الزناة والقتلة والمرابين والظلمة.. قال: الحديث عام فلماذا تخصصه؟ قلت: خصصه الواقع الذي لا يمكن تجاهله.. فالوثنيون كانوا يعبدون أصناما مجسمة ولم يعبدوا صورا شمسية.. وعندما تكون الصورة الشمسية لصنم أو لصليب أو لمعنى ديني مرفوض فسنحرمها. أما التقاط الصوت فى شريط مسجل، أو التقاط الظل والملامح على ورقة لأغراض علمية أو اجتماعية فلا علاقة له بالوثنية، ولا يحكم عليه بتحريم.. بل هو كما نبه مسلم فى صحيحة ليس (إلا رقما فى ثوب).. قال: هذ ا الكلام مردود، ومحاضرتك عن الوحدة الإسلامية، وعن التناحر بين المسلمين لا تقبل. ما دامت مقرونة بإقرار التصوير! وشعرت بالضيق.. ثم كظمت غيظي ورفضت مواصلة النقاش. وأحيى آخرون السنة النبوية بالأكل على الأرض، واستخدام الأيدي، رافضين الأكل على الموائد، واستعمال الشوك والملاعق. قلت: من قال: إن الأكل على المائدة، أو استخدام الملاعق مخالف للسنة؟ إن فهم هؤلاء الناس للدين غريب، وإثارة هذه القضايا دون غيرها من أساسيات الإسلام مرض عقلي.. إنه ضرب من الخبال. إن المؤامرات تسنحكم يوما بعد يوم لاغتيال الإسلام أو الإجهاز عليه جهرة.. فكيف يشتغل قوم بهذه السنن فقط ثم يتساهلون فى الواجبات وعظائم الأمور؟!!

جاءني أحدهم يسألني بأدب: أنت فلان؟ قلت: نعم. قال: قرأت رسالة وزعت علينا تصفك بأنك تهاجم السنة! وأنك مع الشيخ "أبى رية" فى تكذيب الأحاديث! قلت فى سكون: وقعت هذه الرسالة فى يدي..!

قال: ما رأيك فى هذه التهم؟ قلت: ما رأيك؟ هل قرأت لي كتبا؟ قال: نعم، قرأت كتابك "خلق المسلم". قلت: فى هذا الكتاب وحده أكثر من ألف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفى فقه السيرة وكتابين آخرين نحو ألفى حديث. فإذا أثبت رجل فى عشر مؤلفاته نحو ثلاثة آلاف حديث، فكيف يتهم بتكذيب السنة؟!. قال: إنك رددت حديثا صحيحا رواه البخاري ومسلم. وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون! قلت على عجل: لقد رددت الفهم القذر الذي استقر فى ذهن بعض الناس لما قرأ هذا الحديث.. إننا نحمى السنة من إفهام الأراذل. قال: وحديث آخر من الصحاح رددته.. وهو حديث "أنه ما من يوم يجيء إلا والذي بعده شر منه" قلت: بل رده حديث آخر: "أمتي كالغيث لا يدرى أوله خير أم آخره" وحديث حذيفة الذي رواه مسلم وجاء فيه: "أن بعد الخير شرا وبعد الشر خيرا". ومن جملة الأحاديث الواردة فى القضية يفهم أن تاريخ الإسلام بين مد وجزر، وكربة وإيناس، ونصر وهزيمة.. أما القول بأن الإسلام يسير كل يوم إلى الهاوية، وأن مستقبله مشئوم.. فقول مكذوب. قال: هذا ظاهر الحديث.. قلت: هذا ظاهر فهمكم أنتم لحديث لم تبلغ عقولكم غوره.! بم سينزل عيسى بن مريم؟ وحديث نزوله صحيح؟ أليس نزوله لمقاتلة الصليبيين ونصرة التوحيد، وذبح الخنزير، ووضع الجزية.. ألستم تقرءون هذا.. فأين الهاوية التي ينتهي إليها الإسلام حتما. هل السلفية التي تزعموها هي اتهام رجل بتكذيب السنة لأنه أول حديثا يشعر ظاهره بسوء مستقبل الإسلام. أي تدين هذا الذي يتزعمونه. وأي دعوة هذه التي

تنشرون؟!.. الحق أن هناك أناسا يشتغلون بالدعوة الإسلامية وفى قلوبهم غل على العباد، ورغبة فى تكفيرهم.

الداعية الناجح في الأساليب الدعوية عند الشيخ محمد الغزالي:

فأمر الشيخ محمد الغزالي:الدعاة جميعا إلي الأسوة بالنبي صلي الله عليه وسلم والمنهج الذي سار عليه، لنجاح دعوتهم إلي الله تعالي، وما أكثر الدعوات التي قامت تدعوا باسم الإسلام إلي الإسلام، وهي أبعد ما تكون عن روحه ومقاصده، فكان ا ثر ها الإساءة إلي الإسلام وتعاليمه، إنه لاخوف أبدا علي دعوة الإسلام من أن يكون لها مناهضون من خارجها، فتلك سنة من سنن الله الجارية، ومقوم من مقومات صلاحية الحياة للبقاء، أما أن يكون أعداء الدعوة هم أبناءها ورجالاتها فذلك ما يذهب النفس حسرات، ويقطع القلب زفرات، والعلاج الوحيد الذي يضمن للدعاة اليوم استعادة العافية وقوة الأثر والتأثير في المجتمعات هو السير علي آثار خطي رسول الله صلي الله عليه وسلم في دعوته والقواعد التي انطلق منها يدعوا ويبلغ.

ويقول الشيخ محمد الغزالي: (علي مسار الدعوة نحن ندعو ربنا في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم، والصراط المستقيم: ليس خطا وهميا ينشأ عن هوي الأفراد والجماعات، وإنما هو حقيقي يرسمه من الناحية العلمية: القرآن الكريم، ومن الناحية العملية: الرسول صلي الله عليه وسلم الذي حمل الوحي وطبقه وربي جيلا من الناس علي عقائده وشرائعه، والتأريخ الإنساني يشهد بقوة ووضوح أن قافلة الإسلام لزمت هذا الصراط حينا من الدهر، وأنها قدمت للعالم نماذج حية في بناء الخلق والمجتمع والدولة، نعم كان السلف الأول عابدين لله، ذوي بصائر ترنوا إليه وتستمد منه، وتتضح بالتقوى والأدب في كل عمر يباشرون، وكانوا إلي ذلك خبراء بالحياة يسوسونها بالعدل والرحمة، ويقمعون غرائز التطلع والحيف، ويرفضون ما

سبق الإسلام في ميدان الحكم من فرعونية وكسروية وقيصرية، كما يرفضون ما سبق الإسلام في ميدان التدين من شرك وتجسيد وتعطيل، إن الصراط المستقيم ليس وقوف فرد في المحراب لعبادة الله وكفي، إنه جهاد عام لإقامة إنسانية توقر الله، وتمشي في القارات كلها وفق هداه، وتتعاون في السراء والضراء حتي لا يذ ل مظلوم، ويشقي محروم، ويعيث في الأرض مترف، ويعبث بالحقوق مغرور، إن السلف الصالح وحدهم هم مصدر الأسوة للداعية)

كثير من الناس إذا ذُكر اسم الداعية ينصرف ذهنه إلى الخطيب، وإذا ذُكر اسم الخطيب ينصرف إلى الداعية.

ذلك أن الداعية طبيب يَطبُّ المجتمع من أدوائه، ويبرئه من علله، ويعالج مشكلات الناس، ويلبي حاجات المجتمع؛ فهو عقل قادر على الربط بين مشكلات المجتمع وثقافة الدعوة، يشخص فيه الداء؛ ليصف له الدواء.

إن الخطابة تمثل إحدى وسائل الدعوة التي تشمل وسائل أخرى عديدة، منها: القدوة الحسنة، والتعليم والتذكير، والكتابة بأنواعها، والترغيب والترهيب، والعمل المتواصل من أجل قضاء مصالح الخَلْق، والمشاركة في النشاطات الاجتماعية المختلفة، والقيام بكل ما يوصف بالعمل الصالح في مجتمع من المجتمعات.

ومن الخير -أيضا- أن نفرق بين الصفات أو الخصائص والمقومات؛ فالمقومات هي ما يكوِّن للداعية ذاته وينشئ بنيانه، أما الصفات والخصائص فهي شيء خارج عن تكوين الداعية، أو ملتصق بجسده؛ فالمبنى مثلا يتكون من حجرات وأدوار ومواد كونت هذا البناء، هذه هي المقومات، أما الصفات والخصائص فهي كأن يكون المبنى مرتفعا وحجراته واسعة، ولونه كذا... الخ؛ فالمقومات -بتعبير الناطقة- جوهر، بينما الخصائص والصفات عَرَض.

ويطيب الحديث عن خصائص الداعية ومقوماته إذا كان من خلال داعية كبير مثل الشيخ محمد الغزالي، الذي عاش حياته داعيا إلى الله مجاهدا في سبيله، ومات وهو يدافع عن الدعوة.

يرى الشيخ الغزالي -ابتداء- أن الناس لا غنى لهم عن هداية الله كما لا غنى لهم عن رزقه؛ فهم فقراء فيما يطعم أبدانهم من جوع، وفيما يزكِّي أرواحهم من كدر.

ومهما أوتي بعضهم من ذكاء أو صفاء؛ فإنه لن يستطيع تدبير شأنه وإصلاح أمره بعيدًا عن وحي الله وتعاليم أنبيائه.

إن الأمم إذا لم تنتعش برسالات السماء؛ فهي جماهير من موتى القلوب، أو هي ألوف من الرمم الهامدة، وإن حرّكتها الغرائز السافلة، والأمم مهما ارتقت من الناحية النظرية أو الصناعية، فإن بعدها عن الله يزين لها من الجرائم ما تنحط به إلى الدرك الأسفل، وما تتعرض به لأوخم العواقب.

إن الجفاف الروحي والانقطاع الرهيب عن الله رب العالمين، والصدود الغريب عن تراث النبيين، وغلبة الأَثَرَة والجشع على الأقوياء، وسيادة المنطق المادي في كل شيء.. إن هذا نذير شؤم، وأي تقدم يحرزه العِلْم في تلك الميادين لا يبعث على التفاؤل، ما لم بصحبه عَوْد سريع إلى الله، وإعزاز لأمره، وإعلاء لشرعه

ويؤكد الشيخ دوما على أن تكوين الدعاة يعني تكوين الأمة؛ فالأمم العظيمة ليست إلا صناعةً حسنة لنفر من الرجال الموهوبين، وأثر الرجل العبقري فيمن حوله كأثر المطر في الأرض الموات، وأثر الشعاع في المكان المظلم.

إذا كان الأمر بهذه الأهمية فليس كل إنسان -بداهة- يصلح أن يكون داعية؛ فقد يكون المرء عالِمًا كبيرًا، ولا يكون داعيةً، فالداعية له مؤهلات أو خصائص قد لا تتوافر لغيره من العلماء الباحثين (الأكاديميين)، والدعاة أنفسهم متفاوتون في حظهم مِنْ هذه الخصائص.

وربما تبدو هذه الخصائص لأول وهلة نعوتا عامة يجب وجودها في جماهير المسلمين، ولا يختص بها نفر من الناس، بيد أن هذه النعوت وإن كانت شائعة في عامة المؤمنين فإن أنصبة الدعاة من معناها يجب أن يكون أَرْبَى وأزكى.

إن حقائق الدرس بعد أن يشرحها الأستاذ قد تظهر متساوية لدى الجميع، وقد يظن التلاميذ أنهم ومعلمهم أصبحوا سواء في وعيها، وهذا بعيد؛ فإن الأستاذ لديه من رسوخ المعلومات ووضوحها، ومن القدرة على تقليبها وعرضها ما يعز على غيره، وقد يوجد في الناس من امتلأ قلبه بالإيمان، لكن هذا الإيمان لا يعدو أصحابه، والإناء لكي ينضح على ما حوله يجب أن يفيض، وأن ينزل فيه ما يزيد على سعته وما ينسكب من جوانبه؛ فنفوس الدعاة يجب أن يكون لديها مقادير من اليقين والحماس والفضل يتجاوزها إلى ما عداها، ويجعل الاستفادة منها ميسرة للآخرين

وقد استقر أنا استقراء سريعا كتب الشيخ وتراثه، **فوجدنا أبرز خصائص الداعية الناجح ومقوماته تتمثل فيما يلي:-**

أولا: حسن الصلة بالله تعالى وهي الصلة التي إليها يفيء الداعية ويرجع، وعليها يعتمد ويعوِّل، ومنها يستمد ويقتبس، ولها يدعو ويبتهل، وعندها تجد نفسه راحتها وعزاءها.

والشيخ الغزالي يسميها "الدعامة الأولى في أخلاق الدعاة"، ولا يجوز عنده أن ينفك هذا الخلق عن داعية من الدعاة؛ إذ كيف تدعو الناسَ إلى أحد وصِلَتك به واهية ومعرفتك به قليلة؟ ويشهد التاريخ أنه ما من نبي أو داعية أو مصلح إلا وكان له من حسن الصلة بالله النصيب الأوفر والقدح المعلَّى، وكانت صلته بالله قوية لا تخبو، حاضرة لا تغيب.

وإذا كان حسن الصلة بالله مطلبا ضروريًّا لكل مسلم، فكيف يكون حكمها في شأن الداعية؟ إن الدعاة الذين يكرسون أوقاتهم لله، ولدفع الناس إلى سبيله وصفِّهم في طريقه

لا بد أن يكون شعورهم بالله أعمق، وارتباطهم به أوثق، وشغلهم به أدوم، ورقابتهم له أقوى وأوضح.

ثانيا: إصلاح النفس

وهو أمر واجب على كل مسلم، ونصيب الدعاة منه أقوى وألصق، ولعل إصلاح النفس ومعالجتها أولى ثمرات حسن الصلة بالله تعالى؛ فمن ذكر الله وأحسن به الصلة بصَّره بعيوب نفسه، وجعله منها على بصيرة، أما الذين نسوا خالقهم فهم يسيرون على غير هدى، ويخبطون خبط عشواء: "وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ".

إن من أخطر النقائص أن يدعو الداعية إلى خُلُق وقلبه منه فارغ، أو ينهى عن خلق ويراه الناس عليه، إنه -والحالة كذلك- لا يسيء إلى نفسه فحسب إنما يسيء إلى غيره من الدعاة، لا.. بل يسيء إلى الإسلام ذاته.

فضلا عن ذكر الشيخ لنوع من الدعاة يحسبون كل ما يقولونه لغيرهم ليس موجَّهًا إليهم بالدرجة الأولى.. إنما هو أمر يخص المخاطبين فقط، إنهم نَقَلَة فحسب، "أشرطة مسجلة" أو "أسطوانات معبأة" تدور بعض الوقت ليستمع الناس إليها، وهي تهرف بما لا تعرف، ثم توضع في أماكنها لتدار مرة أخرى إذا احتيج إليها.

ومع أن هذا النوع أهون من سابقه فإن الشيخ يقول عنهم: "هم آفة الإيمان، وسقام الحياة، وهم الثقل الذي يهوي بالمثل العليا ويمرغها في الأوحال) .

ثالثا: ذكاء العقل ونقاء القلب ودقة الفهم

وهذه فطرة يُفطر عليها الداعية ويُخْلق بها، تجعله يقدِّر الأمور بمقدارها، ويضع كل شيء في مكانه، ويزن كل شيء بالقسطاس المستقيم، وباختصار تعبر عنها كلمة "الحكمة": "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ"

ويوضح الشيخ مراده بذكاء العقل قائلا: "ولا أريد بالذكاء عبقرية فائقة، يكفي أن يرى الأشياء كما هي دون زيادة أو نقص؛ فقد رأيت بعض الناس مصابا بحَوَل فكري لا تنضبط معه الحقائق، قد يرى العادة عبادة، والنافلة فريضة، والشكل موضوعا، ومن ثَمَّ يضطرب علاجه للأمور، وتصاب الدعوة على يديه بهزائم شديدة)

كما يبين مراده بنقاء القلب فيقول: "لا أريد بنقاء القلب صفاء الملائكة، وإنما أنشد قلبا محبا للناس، عطوفا عليهم لا يفرح في زلتهم، ولا يشمت في عقوبتهم؛ بل يحزن لخطئهم ويتمنى لهم الصواب)

وفي فكر الشيخ الغزالي -بل في أي فكر مستقيم- ينتج عن دقة الفهم عند الداعية التشخيص الصحيح للعلة التي أمامه، وتهيئة شفاء مناسب لها من كلام الله ورسوله، وبذلك يجيء نصحه طبا للمريض، ورحمة تُذهب عناءه، ونورًا يهديه السبيل.

والقدرة على هذا الأسلوب لا يُلقَّاها -عند الشيخ- إلا من استجمع ثروةً طائلة من نصوص الكتاب والسنة، تكون رصيدا عنده لأي داءٍ وافد أو مرض عارض، وإحاطةً تامة بطبيعة البيئة وأحوالها الخفية والجلية، وظروفها القريبة والبعيدة؛ ليكون ذا خبرة واعية بالميدان الذي سيعمل فيه، حتى يدرك كيف يصلح دنيا الناس بدين الله إن الداعية الذي لا يجمع بين الذكاء والنقاء يثير مشكلات معقدة أمام انتشار

الإسلام؛ فلا دين إذا لم يتكون القلب النقي والعقل المؤمن، فمن فقد الضمير الصاحي والفكر الذكي فلا خير فيه

رابعا: الإخلاص

ولا يتعجب القارئ من تأخير الإخلاص بعد حسن الصلة بالله وإصلاح النفس والذكاء والنقاء؛ فلا يغني الإخلاص شيئا إذا كانت صلة الداعية بالله واهنة، بل هما متلازمان، وكذلك الأمر إذا كان مخلصا ولا يتعهد نفسه بالعلاج والمجاهدة، أو يخالف قوله فعله، وهل يغني الإخلاص عن ذكاء العقل ونقاء القلب شيئا مذكورا؟

إن الحركة الإسلامية المعاصرة لأشد ما عانت من قوم لا يشكِّك أحد في إخلاصهم وتجردهم لله تعالى، لكنهم فاتهم كثير من حسن الفهم وعمق التجربة، فأساءوا إلى الإسلام من حيث أرادوا الإحسان، ولقيت الدعوة على أيديهم ما لم تلقه من أعدائها.

وإذا كان الإخلاص فريضة على كل عابد؛ فهو في حق العامل والداعي أفرض وأوجب، وغني عن الذكر ما ورد في القرآن من آيات وفي السنة من أحاديث تحض على الإخلاص في العمل والعبادة، وتحذر من الشرك بالله وابتغاء غير وجهه تعالى بالعمل.

إن الداعية المرائي -في فكر الشيخ- يقترف جريمة مزدوجة، إنه في جبين الدين سُبَّة متنقلة وآفة جائحة، وتقهقُرُ الأديان في حلبة الحياة يرجع إلى مسالك هؤلاء الأدعياء، وقد رويت آثار كثيرة تفضح سيرتهم وتكشف عقباهم، والذي يحصي ما أصاب قضايا الإيمان من انتكاسات على أيدي أدعياء التدين لا يستكثر ما أعد لهم في الآخرة من ويل.. والعمل الخالص الطيب -ولا يقبل الله إلا طيبا- هو الذي يقوم به صاحبه بدوافع اليقين المحض وابتغاء وجه الله، دون اكتراث برضا أو سخط، ودون تحرٍّ لإجابة رغبة أو كبح رغبة.

خامسا: الثقافة الموسوعية

فقر الثقافة للدعاة يمثل -في فكر الشيخ- خطرا أشد من فقر الدم، وأسوأ عقبى من الفقر المالي، والشعب الذي يعاني الغباء والتخلف لا يصلح للمعالي، ولا يستطيع حمل رسالة كبيرة. فغزارة الثقافة وسعة الأفق وروعة الحصيلة العلمية خِلالٌ لا بد منها لأي داعية موفق، وكيف لا والداعية يواجه طبقات شتى واهتمامات متعددة تختلف باختلاف الناس؟ إنه يخاطب الطبيب والمهندس والأستاذ والمعلِّم والعامل والصانع والحائك والتاجر، والمتعلم والجاهل، والمؤدب وسيئ الأدب، والعاقل والأحمق، إنه يحتاج إلى ثقافة تضم هؤلاء جميعا وتؤثر فيهم. ولهذا يطلق الشيخ الغزالي العنان في الثقافة أمام الداعية، يقول: "إن الداعِيَة المسلم في عَصْرِنا هذا يجب أن يكون ذا ثَرْوَةٍ طائلة من الثقافة الإسلامية والإنسانية؛ بمعنى أن يكون عارفًا للكتاب والسُّنَّة والفقه الإسلامي والحضارة الإسلامية. وفي الوقت نفسه يجب أن يكون مُلِمًّا بالتاريخ الإنساني وعلوم الكون والحياة، والثقافات الإنسانية المُعاصرة التي تَتَّصِل بشتَّى المذاهب والفَلْسَفات... ويحتاج الداعية المسلم في هذا العصر إلى بصر بأساليب أعداء الإسلام على اختلاف مَنازِعِهم، سواءً كانوا مُلْحِدين يُنْكِرون الإلوهية أو كِتابِيِّينَ يُنْكِرون الإسلام"

كما يحتاج الداعية -في نظره- إلى علوم العربية والأدب شعرا ونثرا؛ ف"الداعية الذي يشعر بغربة في ميدان الأدب يجب أن يترك ميدان الدعوة لفوره؛ فإن الذي يحاول خدمة الرسالة الإسلامية دون أن يكون محيطا بأدب العربية في شتى إعصارها إنما يحاول عبثا، وأنَّى لرجل محروم من حاسة البلاغة أن يخدم دينا كتابه معجزة بيانية، ورسوله إمام للحكمة وفصل الخطاب)

ويركز الشيخ الغزالي في الثقافة على فهم القرآن أولا قبل السنة بالذات؛ لأن السنة مبيِّنة له، وشارحة لغامضة، وموضحة لمبهمة، وقد قال الله تعالى: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" فالنفس الإنسانية لا تدرك أطرافا من الكمال الأعلى يغرس في أعماقها أروع العقائد وأرسخ الإيمان إلا إذا اتصلت بهذا القرآن واستمعت إليه وفتحت أنظارها لهدي

سادسا: صفات جامعة

وهناك صفات أخرى عديدة، لعل أهمها الشجاعة والجرأة ما دام الداعية على حق في مواجهة باطل، وهي صفة يسقط عندها كثير من الدعاة إلا مَنْ عصم الله وسدَّد، ذلك أن فتن الحياة كثيرة؛ فهذه رغبة في مال أو منصب تُثْنِي، وتلك رهبة عن طريق رزق أو ولد تَصُدُّ، وهذا سلطان يخيف، وذاك جبار يُقْعِد. إن الفتن من حول الإنسان كفيلة أن تُقعد الداعية وتُثنيه عن قولة الحق والصدع بها ما لم يكن معه من الإيمان وحب الحق والطهر ما يجعله يوضح معالم الهدى، ويعلي كلمة الله.

والشجاعة في الجهر بالحق عند الشيخ تنبعث من اجتماع خلقي عظيمين: أولهما: امتلاك الإنسان نفسه، وانطلاقه من قيود الرغبة والرَّهْبة، وارتضاؤه لونًا من الحياة بعيدا عن ذل الطمع، وشهوة التنعم؛ فكم من داعٍ يبصر الحق ويقدر على التذكير به، ولكنه يحتبس في حَلْقِه فلا يسمع به أحد.. لماذا؟ لأنه لو نطق لَحُرِمَ من هذا النفع، أو لغضب عليه هذا الرئيس، أو لَفَاتَه هذا الحظ، فهو -إيثارا لمتاع الدنيا- يلزم الصمت ويظلم اليقين

ومن هذه الصفات الجامعة: التواضع والرحمة والتهلل والبشاشة والإنصاف والمروءة والوفاء وكل ما يزين المسلم فضلا عن الداعية.

المدرسة الرابعة
المدرسة القادرية الجيلانية

يعد المؤرخون وأهل السير ظهور الشيخ عبد القادر مرحلة من مراحل الإصلاح في تاريخ الأمة الإسلامية فقد كان فريد عصره وكان مجدداً للدين والسنة. فبدأ رحلته الدعوية من مدرسة باب الأزج التي كان الشيخ أبو سعيد المخرمي قد أسسها وكانت مدرسة صغيرة في باب الأزج (حي من أحياء بغداد). فلما توفى آلت إلى تلميذه عبد القادر , ويذكر أنه بدأ مجلسه بالرجلين والثلاثة ثم تزاحم الناس حتى صار مجلسه يضم سبعين ألفاً. ثم تزايد الإقبال حتى ضاقت المدرسة فخرج إلى سور بغداد بجانب رباطه ، وصار الناس يجيئون إليه ويتوب عنده الخلق الكثير. وصارت له مكانة عظيمة وقد اجمع العلماء والأولياء والعارفين على مكانته وعلمه ويكفي أن نذكر قول شيخ الإسلام إمامنا النووي الشافعي رضي الله عنه في شيخنا الشيخ عبد القادر حيث يقول: ما علمنا فيما بلغنا من الثقات الناقلين وكرامات الأولياء أكثر مما وصل إلينا من كرامات القطب شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه ، كان شيخ السادة الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد وانتهت إليه رياسة العلم في وقته , وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر وانتهى إليه أكثر أعيان مشايخ العراق وتتلمذ له خلق لا يحصون عدداً من أرباب المقامات الرفيعة ، وانعقد علية إجماع المشايخ والعلماء رضي الله عنهم بالتبجيل والإعظام ، والرجوع إلى قولة والمصير إلى حكمه ،وأُهرع إليه أهل السلوك من كل فج عميق وكان جميل الصفات شريف الأخلاق. كامل الأدب والمروءة كثير التواضع دائم البشر وافر العلم والعقل شديد الاقتفاء لكلام الشرع وأحكامه معظما لأهل العلم مُكرِّماً لأرباب الدين والسنة ، مبغضاً لأهل البدع والأهواء محبا لمريدي الحق مع دوام المجاهد ولزوم المراقبة إلى الموت وكان له كلام عال في علوم المعارف شديد الغضب إذا انتهكت محارم الله

سبحانه وتعالى سخي الكف كريم النفس على أجمل طريقة وبالجملة لم يكن في زمنه مثله رضي الله عنه. قلائد الجواهر ص **١٣٧** نقلا عن بستان العرافين وقد تميز سيدي عبد القادر قدس الله سره بأسلوبه في التربية والسلوك حيث بدأ أسلوباً جديداً استطاع به أن يفوق كل أقرانه فذاع صيته في البلاد وقصده الناس من كل مكان.

ولما آلت إليه مدرسة شيخه أبو سعيد عمد إلى توسيعها وإعادة بنائها ، كما أضيف إليها عدد من المنازل والأمكنة التي حولها وأضاف إليها رباطاً للسالكين والفقراء. ولقد بذل الأغنياء في عمارتها أموالهم الكثيرة ، وعمل الفقراء فيها بأنفسهم وبذلوا الجهد الكبير

وروى ابن رجب الحنبلي في طبقاته ج **١** ص **٢٩١**: أن امرأة فقيرة قررت المساهمة في عمارة المدرسة فلم تجد شيئاً. وكان زوجها من العمال فجاءت إلى الشيخ عبد القادر قدس الله سره تصطحب زوجها وقالت: هذا زوجي ولي عليه من المهر قدر عشرين ديناراً ذهباً ولقد وهبت له النصف بشرط أن يعمل في مدرستك بالنصف الباقي ، ثم سلّمت الشيخ خط الاتفاق الذي وقعته مع زوجها. فكان الشيخ يشغله في المدرسة يوماً بلا أجرة ، ويوماً بأجرة لعلمه أنه فقير لا يملك شيئاً ، فلما عمل بخمسة دنانير أخرج له الخط ودفعه له ، وقال: أنت في حِل من الباقي. ولقد اكتمل بناء المدرسة عام **٥٢٨** هـ ، وصارت منسوبة إلى الشيخ عبد القادر رضي الله عنه حيث جعلها مركزاً لنشاطات عديدة منها التدريس و الإفتاء والوعظ والتربية والسلوك والإعداد الكامل في جميع المجالات (الاجتماعي – الروحي – التربوي –النفسي) من اجل مواجهة أعداء الأمة فقسمها إلى مدرسة لدراسة التلاميذ والطلاب ، وإلى رباط لتربية المريدين والسالكين. وكان يعينه في ذلك بعض تلاميذه البارزين وبعض أبناءه كالشيخ عبد الوهاب رضي الله عنه وغيره. وبني مسجد أضيف إلى المدرسة من اجل

الصلاة كان مشهوراً باسم الجامع ذي القباب السبعة. ثم سمي بعد ذلك باسم الشيخ عبد القادر. ثم أصبحت المدرسة تدعى فيما بعد بمحلة باب الشيخ , نسبة إلى الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى.

أما تمويل المدرسة فلقد هيئ الله للشيخ من يتكفل بهذا فقد أوقف الأتباع والأغنياء عليها أوقافاً دائمة للصرف على الأساتذة والطلاب ويكون لها مورد دائم وكذلك كانت تأتي التبرعات والنذورات والصدقات وأموال الزكاة للشيخ فقد استطاع رضي الله عنه أن يكسب ثقة الجميع بصدقه وإخلاصه وزهده في كل ما يقدم له وكان يرضى من بالقليل من العيش فلذلك لم يترددوا في دفع أموالهم إليه ومنهم من أوقف الكتب لمكتبتها. وكان لها خدم مهمتهم العناية بأمورها وخدمة الأساتذة والطلاب. ومن هؤلاء أحمد بن المبارك المرقعاتي ومحمد بن الفتح الهروي، فلقد أكرم الله الشيخ كرامة عظيمة وهيئ له الأتباع الصادقين فكانوا مستعدين للتضحية بأنفسهم وبأموالهم وبجهدهم في سبيل الشيخ وما يريد من نشر الخير وتجديد الدين فلقد استطاع الشيخ رضي الله عنه أن يفتح القلوب كلها فأحبه الصغير والكبير والرجل والمرأة والحاكم والمحكوم والغني والفقير وكل هذا لأنه أحب الله واخلص في ما يريد فسخر الله له العباد تسخيرا فكان هو وما يريد يلقى القبول عند جميع من يعرفه وكما ورد حتى الجن خضع لسطوته وطاعته كما وردت أخبار كثيرة بهذا وهذا معنى قول الله النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي يرويه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء – قال – ثم يوضع له القبول في الأرض. وهكذا كان حال شيخنا رضي الله عنه وأرضاه كتب الله له القبول عند كل من عرفه وكانت له هيبة عظيمة ومنزلة عالية في قلوب الولاة والحكام والخلفاء

أما الرباط فكان يسكنه الطلبة الوافدون من خارج بغداد وكذلك يقيم فيه بعض السالكين والمريدين الذين ينقطعون للعبادة ويمارسون الرياضات والخلوات التي تساعد على تزكية نفوسهم وتقام فيه مجالس ذكر وأحيانا مجالس وعظ وكان يلجأ إليه الفقراء والمساكين. وكان يُشرف عليه أحد تلاميذ الشيخ عبد القادر الذي تخرّج على يديه في الفقه والتصوف معاً وكذلك السلوك والتربية وهو محمود بن عثمان بن مكارم النعال رحمه الله تعالى.

وبهذا المنهج التربوي العظيم استطاع الشيخ عبد القادر الجيلاني أن يجعل من مدرسته أعظم منارة في ذلك الزمن وقد تخرج منها جيل عظيم استطاع أن يثبت وجوده في التصدي للغزو الصليبي ومن بعده المغول والتتار وقد ذكر هذا الدكتور ماجد عرسان الكيلاني في كتابه (هكذا ظهر جيل صلاح الدين) فقال: وتدل الأخبار المتعلقة بالمدرسة على أنها لعبت دوراً رئيسياً في إعداد جيل المواجهة للخطر الصليبي في البلاد الشامية. فقد كانت المدرسة تستقبل أبناء النازحين الذين فروا من وجه الاحتلال الصليبي ، ثم تقوم بإعدادهم ثم إعادتهم إلى مناطق المواجهة الدائرة تحت القيادة الزنكية. ولقد اشتهر . فيما بعد . نفر من هؤلاء الطلاب منهم ابن نجا الواعظ الذي أصبح فيما بعد مستشار صلاح الدين السياسي والعسكري ، والحافظ الرهاوي، وموسى ابن الشيخ عبد القادر الذي انتقل إلى بلاد الشام ليسهم في النشاط الفكري ، وموفق الدين . صاحب كتاب المغني . وأحد مستشاري صلاح الدين ، وقريبه الحافظ عبد الغني اللذين وفدا للالتحاق بمدرسة سيدي الشيخ عبد القادر بعد أن نزحت أسرتهما من جماعيل في منطقة نابلس إلى دمشق. ولقد وصف ابن قدامة المقدسي طريقة عبد القادر في التعليم وأثره في طلبته فقال: (دخلنا بغداد سنة إحدى و ستين وخمسمائة. فإذا بالشيخ عبد القادر ممن انتهت إليه الرئاسة بها علماً وعملاً

وحالاً واستفتاءً. وكان يكفي طالب العلم عن قصد غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم ، والصبر على المشتغلين وسعة الصدر. وكان ملء العين وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالاً عزيزة وما رأيت بعده مثله).

والذي يتمعن في المنهج الذي طبقه سيدي الشيخ عبد القادر قدس الله سره ، فهو يشبه بشكل كبير المنهاج الذي رسمه الغزالي. بل تكاد تجد أن الشيخ عبد القادر سار متابعا لما أسسه الإمام الغزالي فقد وضع الشيخ عبد القادر منهاجاً متكاملاً يستهدف إعداد الطلبة والمريدين علمياً وروحياً واجتماعياً ، ويؤهلهم لحمل رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله. كذلك توفر لهذا المنهاج فرص التطبيق العملي من خلال المدرسة والرباط المعروفين باسم الشيخ عبد القادر ، فكان منهجه قائما على العلم ومن ثم العمل ومن ثم الصدق والإخلاص وذلك بتزكية النفوس من خلال المنهج الرياضي في الخلوات والعبادات والأدعية والأذكارفكان المنهج العلمي يتضمن حوالي ثلاثة عشر علماً تشتمل التفسير والحديث والفقه الحنبلي والخلاف والأصول والنحو والقراءات. على انه كان يستبعد علم الكلام والفلسفة وينهى عن مطالعة كتبها السائدة وكان يجمع بين الفقه والتصوف السني شرطاً أساسياً للمريدين. واستطاع أن يعطي التصوف صورته الحقيقة فلم يجد له معارضين ولا منكرين وبهذا المنهج سار إمامنا رضي الله عنه هذه هي المدرسة القادرية وهذا هو منهجها وعلى هذا قضى الشيخ رضي الله عنه حياته، كرّس معظم أوقاته للمدرسة والرباط , وكانا منارتين عظيمتين ولا غنى لكل واحدة عن الأخرى وفرغ نفسه وأولاده لخدمة هذين المنارتين، فكان لا يخرج منهما. ولقد قام أسلوبه في التدريس والتربية والوعظ والسلوك على مراعاة استعدادات كل طالب وكل مريد وكل زائر وكل مستمع والصبر عليه. ولقد أمضى الشيخ عبد القادر في التدريس ثلاثاً وثلاثين سنة بدأها عام **٥٢٨** هـ حتى وفاته **٥٦١** هـ.

ولا تزال المدرسة باقية إلى اليوم. ولها مكتبة فيها مخطوطات شهيرة وتعرف باسم المكتبة القادرية. ولم يتخل أولاده عن المدرسة من بعده. بل ظلوا يدرّسون فيها: فدرس فيها أبنه الشيخ عبد الجبار حتى توفى سنة **٥٧٥**هـ وابنه الشيخ إبراهيم حتى توفى سنة **٥٩٠**هـ وابنه الشيخ عبد الوهاب حتى توفى سنة **٥٩٣**هـ ، وابنه الشيخ عبد الرزاق حتى توفى سنة **٦٠٣**هـ ، ثم درس فيها من حفدته الشيخ عبد السلام ابن الشيخ عبد الوهاب ، والشيخ نصر قاضي القضاة ابن الشيخ عبد الرزاق وغيرهما. وعندما اجتاح هولاكو والتتار مدينة بغداد في سنة **٦٥٦**هـ قتلوا كثيراً من أفراد العائلة الكيلانية ، وهدَّموا المدرسة والجامع ، ثم أعيد بناؤها بعد زوال خطر التتار ، وفي سنة **٩١٤**هـ عندما احتل الشاه إسماعيل الصفوي بغداد هدم المدرسة والجامع أيضاً ،وعندما استعادها السلطان العثماني سليمان القانوني في يوم الاثنين **٢٤**جمادي الأولى سنة **٩٤١**هـ أمر بإعادة بنائهما ، وبناء تكيةٍ للفقراء إلى جانب الجامع ، فبدأ سنان باشا ببناء الجامع ، ولكنه توفي قبل إكماله ، فأكمله والى بغداد علي باشا في العقد التاسع من المائة العاشرة للهجرة. ومما يذكر هنا أن ابن بطوطة عندما زار بغداد سنة **٧٢٧**هـ وكانت تحت حكم أبي سعيد خان من حفدة هولاكو ذكر أسماء الأضرحة والمزارات التي شاهدها ولم يذكر بينها ضريح الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى مما يدل على أنه كان لا يزال خرباً في ذلك الوقت. وفي سنة **١٠٣٣**هـ تعرضت المدرسة والجامع للتخريب مرة أخرى عندما احتل الصفويون بقيادة الشاه عباس الأول بغداد مرة أخرى سنة **١٦٢٣**م ، وعندما أخرجهم منها السلطان العثماني مراد الربع في سنة **١٠٤٨**هـ جدَّد العمارة ثانية تحت إشراف المفتي الأكبر يحيي الذي أشرف أيضاً على إعادة بناء مسجد أبي حنيفة رحمه الله. وفي سنة **١١٣٩**هـ عمّر والي بغداد أحمد باشا صُفّةً في الجامع ، وفي سنة **١٢٨٢**هـ أضاف السيد علي الكيلاني نقيب الأشراف الرواق الكبير المجاور للحرم , وفي سنة **١٢٩٧** هـ عمر السيد سلمان الكيلاني نقيب

الأشراف منارة على الباب الغربي للجامع ، وفي سنة ١٣١٧ هـ عمّر السيد عبد الرحمن الكيلاني نقيب الأشراف ساعة لأوقات الصلاة تناطح السحاب. وحوضاً للوضوء ورواقاً والطابق العلوي الكائن فوق حجرات الطابق الأرضي ، وكان السلطان العثماني الثالث والعشرون أحمد الثالث قد أمر ببناء مدرستين أضافهما إلى البناء القديم ليدرس فيهما التلاميذ والمريدون وينامون ويأكلون مجاناً

هذه هي المدرسة القادرية قامت وأسست على تقوى من الله ونور وهكذا بقيت وما تزال صرحا إسلاميا باقيا للآن تسهم في الدعوة الى الله وتعمل على نشر الاصلاح والتورع في القول والعمل.

قائمة المراجع والمصادر

١. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (استانبول، دار الدعوة، ١٩٨٩م).

٢. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، لسان العرب، ج ١٥ (بيروت، دار صادر).

٣. إحسان قاسم الصالحي، بديع الزمان النورسي، نظرة عامة عن حياته.

٤. أورخان محم علي: سعيد النورسي رجل القدر،دار الفضيلة للنشر والتوزيع

٥. بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات. ترجمة إحسان قاسم الالحي، دار النيل.

٦. تأملات في الدين والحياة، محمد الغزالي، دار الدعوة

٧. جدد حياتك، محمد الغزالي، دار القلم

٨. الحق المر، محمد الغزالي، دار الشروق

٩. خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة، محمد الغزالي، دار الاعتصام

١٠. الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة ناشرون

١١. ركائز الإيمان بين العقل والقلب، محمد الغزالي، دار الشروق.

١٢. أساس البلاغة، الزمخشري،تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م،

١٣. سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي أبو بكر، تحقيق:محمد عبد القادر عطا، ط العلمية

١٤. عبد القادر بادللي: . بديع الزمان سعيد النورسي

١٥. الغزو الثقافي يمتد في فراغنا للشيخ محمد الغزالي، دار الشروق.

١٦. في موكب الدعوة، محمد الغزالي

١٧. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركائه.

١٨. المستشار الدكتور علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها

١٩. مع الله، سلمان فهد العودة

٢٠. مع أئمة التجديد ورؤاهم في الفكر والإصلاح الشيخ القرضاوي

٢١. معركة المصحف في العالم الاسلامي، محمد الغزالي، دار القلم

٢٢. النورسي: الملاحق في فقه دعوة النور. ترجمة إحسان قاسم

٢٣. وجهات نظر لا للعلمانية نعم لليبرالية معتز بالله عبد الفتاح